432

HARLEQUIN

روايات أحلام

أشواق تحت الصفر

كارول مورتيمر

مكتبة رواية www.riwaya.ga

أشواق تحت الصفر

لمزيد من الروايات الحصرية و المميزة

زوروا موقع مكتبة رواية

www.riwaya.ga

العدد رقم 432

روايات أحلام

الكاتبة : كارول مورتيمر

العنوان الأصلي :

The Christmas Night

الملخص

كانت ميغ تحلم بتمضية عيد الميلاد
تحت الثلوج ، ولكن بالتأكيد ليس
بالطريقة التي حدثت معها . فقد تعطّلت
سيارتها في عاصفة ثلجية واضطرت
لطلب المساعدة من رجل غريب .
لم يكن الكاتب الشهير جيد كول
مسروراً جداً بتلك الأم التي طرقت بابه
مع ابنها الصغير وفرضا نفسيهما عليه.

غير أن حرارة الطقس المتدنيّة في الخارج والعزلة .

أرغمتهما على تمضية الوقت معاً. وشيئاً فشيئاً بدأت حرارة المشاعر ترتفع وتذيب الثلوج . . .

1– أهو دب؟

صرخ «سكوت» بحماسة من المقعد الخلفي : « إنها الثلوج مجددًا يا أمي ! »

.

يا له من تعبير مُلطَّف ! إذ لم تكن الثلوج تتساقط فحسب ، بل تعصف وتصفر ما يؤشر إلى قرب هبوب عاصفة ثلجية عنيفة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وكانت الإذاعة التي استمعت إليها « ميغ » وهي على الطريق قد أشارت إلى أن العاصفة ستهب فى وقت ما هذا المساء . عندها غادرا لندن قبل ثلاث ساعات لم تكن الثلوج سوى ندف خلابة ناصعة البِياض تسحر الألباب من شدة رقتها وجمالها فإذ بها تتراكم الآن فوق السطوح . كلما ابتعدت « ميغ » عن لندن كلما انهمرت التلوج أكثر حتى شكلت طبقة سميكة على الطريق التي لم

يعد بوسعها أن تميّزها عن الأشجار.

وراحت الثلوج تضرب زجاج السيارة بشدة ما منع المساحتين من أن تؤدي عملهما على أتم وجه .

وجدت «ميغ» صعوبة متزايدة في التحكم بالسيارة لأن عجلاتها انزلقت وغرقت في طبقة الثلوج المتراكمة . وكان الظلام قد حل من حوالى الساعة ما زاد الأمر سوءاً بحيث بدت المصابيح

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الأمامية وكأنها تصطدم بحائط أبيض بدلا أن تنير الطريق .

أما « سكوت » الذي استفاق من سُبات دام ساعة كاملة فى المقعد الخلفي من السيارة فلم يكن يرى سوى ذلك المرح الموعود ، غير مُدرِك للخطر المُحدق به في هذه المغامرة الجديدة على طفولته .

رمقته « ميغ » بنظرة خاطفة عبر المرآة ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة دافئة

ورقيقة لدى رؤيتها شعره الأشعث الداكن وملامحه التى بدا عليها النعاس . يكفى أن يشعر أحدهما بالقلق والذعر .

قالت : « أليس هذا رائعاً ؟ » .

لكن سرعان ما حوّلت ناظريها ثانية إلى الطريق بعد أن انحرفت السيارة قليلا . ما كان عليها أن تأتي بالسيارة . كان من الأيسر لها أن تستقل القطار فإذا ما سببت الثلوج حادثًا ما على السكة الحديدية ، سيكون برفقتها راشدون

يساندونها في محنتها إذ لم تر سيارة أخرى أو حتى شاحنة طيلة نصف الساعة الأخيرة .

هذا بالطبع نتيجة الإنذار الذى بثه الراديو حيث طلبت الشرطة من المواطنين عدم السفر سوى لأسباب طارئة جدًا ، بيد أن ميغ لم تتبلغ هذا الإنذار إلا بعد فوات الأوان أى بعد أن قطعت ثلثي الطريق نحو وجهتها .

سأل « سكوت » بلهجة ملؤها الأمل :
« هل يمكنني صنع رجل بالثلج عندما
نصل إلى منزل جدي وجدتي ؟ » .
لعل الكلمة المناسبة فى طلب «سكوت»
هى كلمة « عندما » لأن « ميغ »
خشيت عدم الوصول إلى منزل والديها
هذا المساء كما كان مقرراً . فهي بالكاد
تستطيع أن ترى الطريق أمامها خاصة
وأن المصباحين الأماميين للسيارة لا
يظهران سوى الثلج يزداد كثافة . ليتها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ترى بيتًا أو حتى مكاناً عامًا أو أيَّ بقعة

آهلة بالسكان لتتوقف وتناشدهم

المساعدة ! صرخ «سكوت» من المقعد

الخلفي : « أريد أن أدخل الحمام يا أمي

» .

وعلى الفور ، اشتدت قبضتيها على

عجلة القيادة فهي أدرى بتلك الصرخة

القديمة والكفيلة بأن تزرِع الذعر في

نفس كل أم . فهي تأتي وأنتِ تنتظرين

دورك في المتاجر الكبرى ، أو حين

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تستقلين باصًا ، أو تجربين حذاء أو في خضمّ عاصفة ثلجيّة مروّعة ! وقد تعلمت سريعاً جداً أنه من غير المفيد أن تطلبي من ولد صغير أن ينتظر بضع دقائق ريثما تنهين عملك . فحين يقول الولد إنه يحتاج لدخول الحمام هذا يعني على الفور .

إلا أن «ميغ» سألته : « هل تستطيع الانتظار قليلاً يا « سكورت » ؟ لقد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أصبحنا الآن على مقربة من منزل جدك وجدتك » .

قالت هذا رغم أنها لا تدري البتة أين هي لأنها قطعت أميالاً من دون أن تلمح ما يشير إلى الطريق . وعاد «سكوت» يصرخ مجدداً : « أريد أن أدخل الحمام الآن يا أمي » .

كانت « ميغ» متوترة من شدة تركيزها على القيادة ما جعلها تشعر بالم في كتفيها وذراعيها ، جاء هذا ليزيد من

www.riwaya.ga مكتبة رواية

التوتر ، ولم يكن هذا خطأ «سكوت» إذ نام لأكثر من ساعة ولا شك أنه يحتاج لدخول الحمام .

كان من الصعب عليها أن تركن السيارة إلى جانب الطريق ، كما اننا لِسنا في منتصف فصل الصيف فهي عشية ليلة الميلاد ودرجة الحرارة متدنية إلى ما دون الصفر ، ولم تتحمل فكرة تعريض طفلها لتلك الظروف الطبيعية القاسية .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ليتها تجد في مكان ما بناءً من أي نوع ، أو حتى حظيرة ، أو أي مكان يمكن اللجوء إليه والاحتماء به !

وما كادت هذه الفكرة تراود مخيلتها التي تعج بالأفكار السوداء حتى فقدت سيطرتها على السيارة التي أخذت تنزلق فوق الثلج .

قالت ميغ بلهجة محذرة : « انتبه يا سكوت ! » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وما أن قالت ذلك حتى شاهدت شيئاً قائماً يتجه صوبها وتوقفت السيارة بعنف على أثر اصطدامها بكتلة جامدة ، ثم صرخ «سكوت» وقد جُنَّ جنونه من صمتها : « ماما ! ماما ! » .

فقالت له تهدّئه : « لا بأس يا سكوت » .

ووضعت يدأ حيث ارتطم رأسها لتوّه بشكل مؤلم .

على الرغم من تعظل المحرّك إثر الاصطدام بقيت المصابيح الأمامية تعمل ، ما أتاح لميغ أن ترى ابنها جالساً في كرسيّه في المقعد الخلفي والدموع تسيل على خدّيه ويداه ممدودتان إلى الأمام بحثاً عن أمة .

قالت : « كل شيء على ما يرام يا طفلي » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وحبست دموعها ، راح تبحث عن قبضة حزام الأمان في محاولة يائسة للترجل من السيارة والتوجه إلى ابنها لتضمّه إلى صدرها وتبعث في نفسه الطمأنينة .

لكن قبل أن تتمكن من القيام بذلك انفتح الباب بجانبها بعنف وتسربت منه ريح باردة ثلجيّة فيما استحال وجهها شاحبا لشدة الهلع الذي أصابها كما

أطلقت صرخة مدوّية عند رؤية شيء قريب .

صرخ «سكوت» من المقعد الخلفي : « ماما إنه دب! » .

بدا فعلا لميغ دبًا مكسوًا بالشعر وأزرق العينين حالما نزع قبعة معطفه الثقيل ما جعل الثلج يتساقط من شعره الكثيف والداكن .

صرح والقلق يساوره : « هل أنتما بخير؟! » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وراح يحدّق فى « سكوت » الذي شرع يبكي في المقعد الخلفي .

دمدمت ميغ بتلهف : « على أن أصل إليه » .

اندفعت خارج السيارة ومضت لتفتح باب السيارة الخلفي وترمي بنفسها إلى الداخل . تمتمت قائلة : « لا بأس يا « سكوت » نحن بخير » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عانقته بقوة متحسسة دموعه المتهمرة ثم قالت بنبرة مفعمة بالأمل : « لم يأت هذا الرجل اللطيف سوى لمساعدتنا » .

لعل من حسن حظها أن السيارة اصطدمت بجدار المنزل . الآن ، وبعد أن أصبح بإمكانها أن ترى بفضل الأنوار المتوهجة في الداخل ، أدركت أنها اصطدمت بجدار منزل أحد النساك اللين يكرهون النساء والأطفال والذين لا يحبون حتى مساعدتهم .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إلا أنها لم تكن تبالي بهوية ذلك الرجل . لم تقو سوى على النظر إليه بعينيها الخضراوين الواسعتين والكئيبتين لتسأله إن كان هناك متسع في هذا الكوخ . لكنها سرعان ما أيقنت أن سؤالها سخيف وظلت تشعر بالخزي في سرها حتى بعد بضع دقائق بعد أن خرجت هي و«سكوت» من الحمام وجلسا معاً أمام موقد للحطب يحتسيان الشوكولا الساخن .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أما حينها فقد ألقى عليها منقذهما نظرة من عينيه الزرقاوين الساخرتين ورد : « في الكوخ مُتَسع » .

وسارع إلى حملها هي وسكوت على ذراعيه وأدخلهما إلى المنزل .

ألقت « ميغ » نظرة من حولها فلاحظت أنه لم يكن منزلاً بكل معني الكلمة ، بل كوخاً ذا سقف خشبي منخفض وغرف صغيرة . ولكن أيًا تكن حالة هذا الكوخ فهو دافئ وجاف ومأوى من العاصفة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الثلجية التي تعصف في الخارج . وبعد أن أعد لهما الشوكولا الساخن عاد إلى الخارج ، فما كان من «سكوت» إلا أن وضع يديه على كتفيها موجهاً ناظريه بحياء ناحية الباب وسأل : « إلى أين ذهب الرجل يا ماما ؟ » .

سؤال جيد . لكن جوابها اقتصر على كلمة « خارجاً » ، إذ ليس لديها فكرة عن ذلك .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ها هو يعود أدراجة ويدخل غرفة الجلوس الصغيرة وقد بدا كدب حقيقي أكثر من ذي قبل بمعطفه الثقيل وقبعته المغطاة بندف الثلج .

وتشدّق قائلا : « اسمى «جيد» وأنت ؟ » .

وهو يمد يده ليعطى «ميغ» حقيبة يدها التي تركتها على المقعد المجاور لمقعد السائق توجه إلى «سكوت» بمزيد من اللطافة وأعطاه حقيبة صغيرة تحوي في

www.riwaya.ga مكتبة رواية

داخلها العاباً جلبها معه ليلعب بها أثناء سفره وقال له : « وأنت ما اسمك؟ » . سلم مفاتيح السيارة إلى «ميغ» وأضاف بنبرة جافة وهو يخلع معطفه الثقيل : « مع أني أعتقد أن لا أحد سيسرق سيارتك في الوقت الحاضر ، فقد تعرضت واجهتها لضرر كبير » .

تبين « لميغ » أمران من خلال هذا الحوار ، أو هذا الحديث الأحادي الجانب : الأوّل هو أن لهجة الرجل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أميركية ، والثانى أنه لا يزال يبدو مهيبا
حتى من دون ذلك المعطف الضخم .
كانت كتفاه عريضتين يعلوهما شعر داكن
أشعث وتغطيهما سترة صوفية سوداء .
كان يلبس سروالاً قطنياً يبرز جسما
رياضياً قويًا ، أما وجهه فاسمر اللون
ضارب إلى الحمرة تبرز فيه عينان شديدتا
الزرقة
وفك مربع يوحي بدرجة عالية من الثقة
بالنفس .

طوقت ميغ «سكوت» بذراعيها فيما كان الرجل يتفرس فيهما بعينين زرقاوين براقتين ليرى امرأة يصل شعرها الداكن إلى حدّ خاصرتها ، ولوجهها شكل القلب . أما عيناها فخضراوان فيما يحيط قليل من النمش بأنفها . وقد جلس على ركبتيها صبي صغير بوجه منمش

كوجهها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بدأ الهدوء المخيّم على الغرفة يرخي بثقله على ميغ التي تحركت وأصلحت الموقف بارتباك : « أنا آسفة حقاً لإزعاجك وإزعاج عائلتك بهذه الطريقة يا سيد «جيد» » .

فسارع يقول : « ما من عائلة هنا ، أعيش بمفردى » .

وانحنى ليضع مزيداً من الحطب في الموقد .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وما أن استقر« ميغ » و« سكوت » في جلستهما حتى همس بثقة : « لم أصادف حلاقاً واحدا طيلة شهرين لكنني لا أبدو حقّاً كالدب ، اليس كذلك ؟ » .

ورسم على شفتيه ابتسامة كانت « ميغ » واثقة من أنه أراد بها طمأنتها ، بيد أن هذه الابتسامة لم تنجح سوى في إظهاره أكثر وحشية بدلا من أن يبدو رجلاً مسالمًا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

رطبت «مَيغ» شفتيها الجافتين . لا بد
أن العاصفة والاصطدام زادا من
حساسيتها ، وهذا الرجل أنقذهما ولن
يعتدي عليهما . فكررت بكآبة وهي
تُجلس «سكوت» الذي نزل من على
كرسيه : « لا يسعني
حقاً أن أشكرك كما يليق على ما فعلته
من أجلنا يا سيّد «جيد» فلولاك لكان
مصير «سكوت» وأنا . . . حسنًا ، لا
يسعني شكرك حق الشكر » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم تشأ أن تدخل في تفاصيل ما كان ليصيبها هي و«سكوت» وهما وحيدان فى العاصفة خشية أن يرى «سكوت» أحلاماً مروعة . لكنه قال بنبرة جافة وقد هب واقفاً : « أهلاً وسهلاً » .

نظرت إليه «مِيغ» بطرف عينها ، إنه حقاً شديد الضخامة قياساً بصغر حجم الغرفة .

سألته : « هل يمكنك إعطائي رقم هاتف مرآب لتصليح السيارات لأتصل بهم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

علّهم يجرّون سيارتي ويوصلونا إلى أقرب مكان ... كلا ؟ » .

طرحت السؤال بلهجة عديمة الثقة وهي ترى الرجل يهز رأسه مستهزئًا .

وأكد لها : « كلا ، تجاوزت الساعة الآن الخامسة والنصف وانتهى دوام العمل . وإن لم ينته بعد فمن المُستبعد جداً أن يتمكنوا من الوصول في مثل هذا الطقس . ألا تعتقدين ذلك؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ألقى نظرة من النافذة إلى الخارج حيث لا تزال الثلوج تنهمر بغزارة . التفتت «ميغ» إلى «سكوت» الذي سئم حوار الكبار وراح يُخرجٍ الألعاب من حقيبته ليلعب بها .

لعل هذا أفضل ، فلا حاجة لأن يلاحظ قلق أمه . ماذا عساها تفعل ؟ فالسيارة غير صالحة للسير ، والثلوج لا تزال تتساقط ، حتى أن الدقائق المعدودة التى قضتها خارجًا وهي تقطع المسافة بين

www.riwaya.ga مكتبة رواية

السيارة والكوخ كانت كافية لنبذ فكرة بقاء «سكوت» في الخارج . كما أنها تجهل كليّاً المكان الذي توجد فيه الآن .

كان «جيد» يراقب الانفعالات التى تظهر على وجهها ، ولاحظ أن هذه «المرأة» تضخم الأمور قليلاً . فعلى الرغم من أن ذلك الصبي الصغير يناديها «ماما» إلا أنها هي نفسها تبدو طفلة بوجهها الخالي من أى زينة والذي لا يلونه سوى النمش على محيط أنفها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وتينك العينين الخضراوين كالزمرد وأطول أهداب سوداء رآها في حياته . بدا واضحاً من ملامح وجهها المتجهمة ولونها الذي لا يزال شاحباً أن الرعب يتملكها . لكنه هو أيضاً لم يكن يشعر بالغبطة إذ لم يتعمّد المكوث بعيداً عن الأنظار وسط هذا الخلاء لتقطع عزلته عفريتة خضراء العينين مع طفلها . إلا أن «ميغ» سرعان ما تمكنت من كبح جماح الذعر الذي تملكها من

www.riwaya.ga مكتبة رواية

جِراء هذه الورطة وقالت تعرف عن نفسها : « اسمي «ميغ هاميلتون» » .

ثم أشارت بيدها النحيلة إلى ابنها الصغير الذي يلعب بشاحنة وبعض الحيوانات الأليفة وأضافت بشيء من الاعتزاز: « وهذا ابني «سكوت» » .

لمس «جيد» ثقتها به فأطرق مفكراً .

حتى أثناء عاصفة ثلجية عنيفة ، لا تذهب المعاملة الحسنة سدي واستفاق

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عن سهوته ومد يده مسلماً عليها وهو يعرف عن نفسه : «جيد كول».

وتفحص وجهها ليتحقق ما إذا تعرفت على اسمه .

قالت «مِيغ» وهي تسحب يدعا من يده : «سيد كول».

وشعرت بالارتياح لمجرد المحافظة على الرسميات وكأن تلك الحركات العفويّة أتت لثبت ثقتها مجددًا .

إما لم تعرفه أو تعرف اسمه وإما أنها ممثلة محترفة .

ففي الأشهر التسعة الماضية ، ومند أن غدت حياته فجأة على كل لسان ، حاولت النساء لقاءه بشتى الطرق ، وقد حاولت إحداهن التسلل إلى نادٍ رياضي كان يرتاده .

لعل اصطحاب ولد صغير وسط عاصفة ثلجية أمر مختلف بعض الشيء ، أو حتى تشبيه ما يحصل الآن بتلك الحادثة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يثير الضحك . وقد تأمد من البراءة التي بدت على وجه ميغ حين نظرت إليه أنها لم تكن من أولائك التساء .

سألت «ميغ» بلهجة ظنها محفوفة بالرجاء : « هل من فندق في الجوار؟ »

.

أجاب : « آسف لأنني ساخيب أملك

» .

شعر بالاستياء من تطفلها لكنه لن يتركها تتجمد مع الصبي في الخارج بل تمئى

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وحسب لو أنها اختارت كوخاً آخر تحتمي فيه .

بسبب بقائه وحيداً هنا طيلة شهرين ، فقد عادة إجراء حوار لبق ، هذا إن كان قد عرفه يوماً . لكن القيادة في مثل هذا الطقس برفقة صبيَ صغير هو برأيه ضرب كبير من ضروب الحماقة .

وأضاف بصوت أجش : « ما من فندق هنا. في الحقيقة لن تجدي سوى هذا الكوخ » .

وللحال قطبت جبينها وعكست يداها الصغيرتان والنحيلتان غضبها أذ ضغطت بهما على فخذيها وقالت بلهجة غير واثقة : « لكننا لا نبعد كثيراً عن «وينستون» ، أليس كذلك . . . ؟ » .

لابد أنها غاضبة ، ومع هذا فهي تعرض حياتها وحياة ابنها للخطر وهي تقود في مثل هذا الطقس ، ولأي سبب ؟ لم يكن لديه فكرة عن ذلك . لكن ما من شيء يستحق العناء .

بدا غضبه واضحاً في نبرة صوته وهو يجيبها بصوته الأجش المعهود : « تبعدين 10 أميال أو ما شابه أو لربما تُقدّر المسافة بـ 100 ميل . لابد أنك أخطأت في اختيار المعطف الصحيح فهذه طريق خاصة لا تقود سوى إلى هذا الكوخ . وحتى لو أزالوا الثلج عن الطرقات غداً ستبقى هذه الطريق الفرعية المؤدية إلى الكوخ غير سالكة »

.

وشاهد عينيها الخضراوين العميقتين تغرورقان بالدموع فوبخ نفسه باشمتراز. ولكن إن لم تقصد هذا المكان عن سابق تصور وتصميم للقائة وهو يميل إلى الاعتقاد بأنها لم تفعل إِذ يبدو قلقها غير مفتعل ، فما مبرر وجود هذه المرأة مع طفلها وسط هذا الخلاء عشية عيد الميلاد ؟

سألها بوجة عابس ونبرة حادة : « من أين أنت آتية ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أجابت بصوت منخفض : « من لندن .

لم تكن الثلوج تتساقط عندما انطلقنا »

.

وعتدما هم ابنها بالكلام بادرت إلى

تصحيح الموقف : « لم تكن الثلوج كثيفة

على أي حال » .

خذوا الأسرار من أفواه الصغار! إلا أن

«جيد» صدقها فلربما لم تكن الثلوج

تتساقط في المدينة كما هي الحال هنا .

فخلال زياراته المتكرّرة إلى العاصمة لم

يشهد ثلوجا تساقط مدة طويلة ، لكن لندن تبعد أكثر من مئة وعشرين ميلاً على الأقل .

قال بلهجة لاذعة منزعجاً من الموقف : « لِمَ لم تتداركي . الأمر وتوقفي السيارة جانباً حين بدأ الطقس يسوء؟ » .

أخذت تدافع عن نفسها مُحرجة وقد عكست عيناها غيظهًا : « الآن أدرك أنه كان يجدر بى القيام بذلك . . . ولكنني لم أفعل » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ورفعت ذقنها بمواجهته وكأنها تتحداه ليستفزها مجددًا .

شكل ذلك تحدياً لم يكن لدى «جيد» أي مانع في قبوله فقال : « إذاً فبدلاً من أن تقومي بذلك ، ها أنت وابنك الآن ضيقان عندى ! » .

أوشك أن يضيف أنهما ضيفان ثقيلان لكنه علم أن نبرة صوته عبرت عن ذلك بوضوح .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

صححت له بنبرة تحدٍ وقد امتعضت من تعليقاته : « الصبي يدعى «سكوت» وأنا متأكدة من وجود مخرج يبعدنا من هنا ويصون خصوصيتك » .

نطقت هذه الكلمة الأخيرة بازدراء . لم تكن تلك الخصوصية موضوع ازدراء بالنسبة إليه فقد نالها بجهد جهيد .

ولكن كان من الصعب ألا يُعجب المرء بتلك المرأة الفتية فهي لم تحافظ على نفسها سالمة فى هذه العاصفة الثلجية

www.riwaya.ga مكتبة رواية

العاتية وحسب ، لأن مجره ركن السيارة جانباً وانتظار هدوء العاصفة سيعرضها هي وابنها للتجمد ، ولم تُحافظ على رباطة جأشها بعد الصدمة وحسب بل ما زالت تتمتع بالشجاعة لمواجهة منقذها المتردد .

كان مِترددا لا يعلم ما يفعله بهذين الضيفين ، فهما سيمكثان عنده طول الليل على الاقل. «جيد كول» غدا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

منقذاً ! إنه دور لم يكن يتوقع أن يلعبه يوماً .

ثمة أمر واحد هنا لا يستطيع القيام به بكل بساطة ، وهذا ما عكر أكثر مزاجه السيىء فارتمى على أريكة شاغرة وراح ينظر إليها نظرة تحدٍ وقد قطب حاجبيه الداكنين وقال : « حقًا ؟ يهمني كثيرًا سماع ذلك ؟ » .

أجابت : « ربما نستطيع السير إلى . . . » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قاطعها «جيد» على الفور: « العاصفة الثلجية تشتد في الخارج وقد وصل علو الثلج في بعض الأماكن إلى أربعة أقدام حتى الآن ، فلا قدّر الله لو أن الطفل «سكوت» . . . » .

وحملق به وتابع بصوته الأجش : « . . . غرق في الثلج فلن تجدي له أثرًا » .

راح مجدداً يراقب المشاعر الجياشة التي ارتسمت على وجهها . وأخيرا ظهرت على وجهها أمارات الغضب عندما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

نظرت إليه واصررت باستهجان : « ساجده » .

راهن غلى أنها قادرة على ذلك إذ شبهها في تلك اللحظة بلبؤة تحمي حياة شبلها .

لكنه قال مستفزًا : « لقد تهت وأنت تقودين سيارة ، فأي حظ سيحالفك وأنت على قدميك ؟ » .

تحرّكت لتقف إلى جانب ابنها كالحارس قبل أن تتوجه بالسؤال إلى ذلك الرجل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بلهجة رقيقة : « هل تعمد إلى إخافتي؟ » .

حدق «جيد» في وجهها وقال بجفاء : « وهل نجحت في ذلك؟ » .

عندئذ ، استعادت لهجتها القاسية : « ما من داع لتلك الوحشية إذا كان هذا قصدك ! » .

كانت تدافع عن نفسها وتابعت «ميغ» : « حسنًا ، أرى أننا أزعجناك بحضورنا المفاجئ . . . » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لقد اصطدمت بحائط الكوخ

«اللعين».

راح يتذكر جلسته إلى جانب الموقد

يتأمل شرارات النار الْمتوهجة ويرتشف

شراباً ساخناً حين سمع ضربة مدوية اهتزٌ

لها الكوخ بكامله حتى أنه اعتقد بأن

حائط الكوخ سيئهار عليه .

سارعت تقول بلهجة حزينة : « نعم. .

. أعرف ، ولكن » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

رسمت على شفتيها تكشيرة يشوبها الألم قبل أن تكمل جملتها : « لم أكن أقصد ذلك . . . وأرجوك ألا تلعن أمام «سكوت» ، فأنا لا أريده أن يتعلم تلك المفردات » .

لم يتحملها «جيد» ويتحمل إزعاجها وحسب بل ها هي تفرض عليه ما يجب أن يقول . فرد بعنف : « أما من سيد «هاملتون» في مكان ما ينتظر وصولك على أحر من الجمر؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فلو وجد لعهد إليه بسرور مسؤولية

إنقاذ امرأته وابنه .

بدا عليها الذهول وكأنه أعاد إلى ذاكرتها

، أمرًا طواه النسيان . بدا وكأن شرارة

الغضب بدأت تخمد مُعيدة إليها الوداعة

التي كانت تتحلى بها بادئ الأمر وأسف

إذ قرأ في عينيها عجزها عن الدفاع عن

نفسها .

عضت شفتها السفلى قبل أن تجيبه : «

بلى ، سيد «هاملتون» ».

سارع يقول بلهجة صارمة وقد استاء من واجب الحماية الذي بدأت تلك المرأة تزرعه في ضميره : « أرجو أن يكون على مقربة من هنا ؟ » .

فلو تمكّن من إعادتها إلى حياتها الطبيعية لاسترجع هو أيضاً صفاء حياته .

قالت لتصرف نظره ، عن الموضوع : « ويوجد أيضًا سيّدة «هاملتون» » .

ولدى عبوسه عبسة فضول شرحت قصدها : « أعني والديَّ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لقد قصدت بالسيد والسيدة هاملتون والديها ما يعني أن لا زوج يسرع لنجدتها .

تابعت : « كنت في طريقي إليهما لأقضي معهما عيد الميلاد عندما . . . » .

وبدأت عندئذ شفتها السفلى ترتجف قليلا قبل أن تلتقط أنفاسها وتستأنف : « . . . عندما أضعت طريقي . هل

يمكنني استخدام هاتفك لأتصل بهما ؟ »

.

وعادت من جديد ترفع ذقنها بتحدٍ قبل أن تكمل حديثها : « لم يكن أبي في صحة جيدة ولابد أنهما ينتظران وصولنا الآن » .

تجهم وجه «جيد» فهي لم تقل : « سيقلقان علي وعلى حفيدهما . بل قالت : لا بد أنهما ينتظران وصولنا الآن

.

وما لبث أن قطع تحليله فلعله يُغالي ولكن ما شأنه في هذا كله على أي حال ؟

جاء رده إشارة بيديه المفتوحتين إلى الهاتف الموضوع على الطاولة بجانب الباب ..

كان هاتفاً من الطراز القديم الذي كان رائجاً قبل ابتكار الهاتف بالأزرار . في الواقع ، كانت كل زاوية في هذا الكوخ قديمة العهد وهذا ما تبين له عندما زاره

www.riwaya.ga مكتبة رواية

للمرة الأولى قبل تسعة أسابيع ، بدءًا بالملاءات والشراشف المخملية على الأسرة وصولاً إلى الموقد . كما أن رأسه ارتطم آلاف المرات بأحد السقوف المنخفضة في الأسبوعين الأولين قبل أن يتعلم كيف ينحني تلقائيا عند النهوض . لاحظ أن «ميغ هاملتون» تواجه بدورها هذه المشكلة عندما توجهت لتلتقط السماعة فأصبح رأسها الأسود على مقربة من السقف .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بدت غاضبة من أمر يجهله تماماً فنهض

وهو يسألها : « أتريدينني أن أصطحب

«سكوت» إلى المطبخ ليتسنى لك

التكلم بحرية » .

لم يعلم لما قدم لها هذا العرض . لعله

شعر بترددها في إجراء الاتصال .

حملقت فيه قبل أن تحول نظرها إلى

حيث كان ابنها يلعب بشاحنته ثم

أجابت وهي تبتسم ابتسامة خجولة : «

كلا ، أنا . . . لا بأس . أريد فقط

إعلامهما بأنني لن أصل في الوقت المحدد للعشاء » .

لم يعلّق «جيد» وهو يرمي بثقله على الأريكة بل راح يفكر في معنى ما قالته . فلو كانت والدته تنتظر قدومه وسط عاصفة ثلجية ولم يصل في الوقت المحدد لاتصلت بالشرطة ولأرسلت علاوة على ذلك أباه وأخويه ليبحثوا عنه . قد يكون في ذلك مبالغة منها في القلق لكن

في مثل هذه الظروف يبقى العشاء آخر ما تفكر فيه والدته .

سألت «ميغ» بتوتر عندما رُفعت السماعة : « أمي؟ نعم . أعتذر فربما أتأخر في الوصول حتى الغد . نعم أعلم ذلك . بالطبع سأعلمك إذا ما أردنا الوصول وقت الغداء » .

سكتت برهة لتصغي إلى أمها قبل أن تسأل مجدداً : « وهل فعلت ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بدا على صوتها بعض الانفعال وهي تضيف : «أجل ، ربما كان علي أن أركب القطار أيضاً لكنى احتجت لأن أحضر معي أغراض «سكوت» و . . . أجل ، سأتصل بك غداً لتأكيد حضِورنا » .

لاحظ «جيد» مستاءً أن يدها ترتجف وهي تُعيد السماعة إلى مكانها .

بدا وكأن إحساسه كان في محله . كانت السيدة «هاملتون» معنية بترتيبات

www.riwaya.ga مكتبة رواية

العشاء أكثر من سلامة ابنتها وحفيدها

. نظر إلى «سكوت» الجالس أمام

الموقد يبسط حيوانات المزرعة والذي

كان «جيد» واثقاً

من أن جدته لم تأت على ذكره أثناء

المكالمة .

وإذ أدرك ما كان يقوم به استقام مجدداً

في الأريكة . لن يتدخل في هذا الشأن

فهذه المرأة وابنها سيرحلان حالما يتمكن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

من إرشادهما لتنتهي الحكاية عند هذا الحد . لا ، لن يتدخل في شأنهما .

3– استجواب فظ

تعمدت «ميغ» أن تُبقي ظهرها له لبضع ثوانٍ بعد انتهاء المكالمة لتتمكن من ضبط أعصابها.

شعرت بأن كبرياءها تحطمت وبقشعريرة تملكتها ، ولم يكن هذا الشعور بغريب عنها بل اعتادته كلما اتصلت بوالدتها .
لم تفهم «ميغ» تصرف والدتها . شعرت من نبرة صوتها وكأنها عادت 5 سنوات إلى الوراء بدلاً من أن تشعر بأنها امرأة ناضجة ولديها ولد صغير .
لم يكن هذا كل ما في الأمر طبعاً . فقد وصلت أختها «صونيا» إلى منزل والديها لقضاء عيد الميلاد ، وهي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

استقلت القطار بعد أن ألغيت رحلة التزلج التي خططت لها لأن زوجها لوى كاحله . «صونيا» البارعة في مهنتها والمتزوجة من رجل ناجح ، وهو ما تفتقر إليه «ميغ» وما لا تتوانى والدتها عن تذكيرها به .

في المقابل ، كانت «ميغ» تبتاع ملابسها من المجلات الشعبية وتعمل كمهندسة ديكور لتسدد كلفة إيجار المنزل والأقساط فلا يتبقى لها سوى القليل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لتغطية كافة المصاريف الأخرى . أما في

ما يتعلق بالزواج ، فلديها «سكوت»

كبديل عن الزوج اللائق الذي تبتغيه

والدتها ، هذا الطفل الذي تفضّله على

أي زوج والذي تعمل من أجله منذ

ثلاث سنوات ونصف والذي لا تزال

حتى هذه اللحظة تحيطه بالعناية ذاتها

التي أحاطته بها منذ كان طفلاً رضيعاً .

وإذا كانت «صونيا» قادرة على أن

تحافظ على مستوى عيش رفيع وعلى

www.riwaya.ga مكتبة رواية

زواجها الناجح ، فإنّ «ميغ» لا تتمتع سوى بأمومتها «لسكوت» . علا صوت «جيد كول» من ورائها : « كنت على وشك تحضير العشاء عندما وصلتما » .

استجمعت «ميغ» قواها واستدارت لتواجهة مخلفة وراءها الأفكار المتعلقة «بصونيا» ووالديها ، فأمامها متسع من الوقت لترهق نفسها في التفكير بهم غداً أو حتى بعد غد كما خطر لها بحزن بعدما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ألقت نظرة خارجا على الثلوج التي لا تزال تتهمر حتى الساعة .

حتي الساعة كان كل ما يضايقها هى أن تحل ضيفة ثقيلة على «جيد كول» ، فهي غير مُرحب بها . لكن من يلومه على شعوره هذا ؟ فقد أصطدمت سيارتها بجدار منزله ، ما جعل هذا المسكين يحار في أمره ! وانفجرت ضاحكه من دون أن تدري ما هو سبب ضحكها هذا . لم تدر سوى أنها تضحك

وأنها عاجزة عن التوقف كلما حاولت السيطرة على نفسها . هزت رأسها وقد عجزت عن ضبط نفسها وقالت : « أعتذر . لا أصدّق فعلاً أن سيارتي ارتطمت بكوخك » .

انفجرت ضحكًا حتى بدأت دموعها تنهمر على خديها فنظر «سكوت» إلى أمه بحيرة قائلاً : « لِمَ البكاء يا أمي ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أتى جواب «جيد كول» بفظاظة : « لا أدري » .

ودنا منها بحزم وقال : « هلا ، هدأت قليلاً ؟ أنت تخيفين الطفل » .

لم يبدُ على «سكوت» الخوف بل الحيرة من موقفها . يبدو أنها تُخيف الرجل وليس «الطفل» ، إذ راح «جيد كول» يحدق في وجهها لا يعلم إن كان عليه أن يعانقها أم يصفعها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

توجهت إليه بالاعتذار: « أنا آسفة حقًا » .

وإذ التقت نظراتهما راحت تبذل قُصارى جهدها لتتوقف عن الضحك وتوقف الدموع التي تسيل على خديها ، فسألته : « هل قلت إنك كنت على وشك إعداد وجبة العشاء ؟ » .

لم تكن الهستيريا قد اختفت بالكامل لكنها على ما يبدو تحاول أن تسيطر عليها في تلك اللحظة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ظل «جيد كول» يحدق في وجهها بحذر وقد بدت قسمات وجهه الفظة والخشنة أكثر تفاخراً من أى وقت مضى ثم أطيق فكيه ممتعضاً وأجابها : « لحمة وبطاطا مقلية » .

وتابع حديثه بلباقة : « إنها تكفي لشخصين ، ولو أردت شيئًا آخر لتُطعمي الصبي . . . » .

أجابت بصرامة : « اسم الصبى «سكوت» وهو يأكل مما آكله أنا » .

قال الرجل وقد كشر عن أنيابه : «إذاً ، أعتقد أن لدي من اللحمة والبطاطا المقلية ما يكفي لثلاثة أشخاص » .

ثم استدار وغادر الغرفة على عجل .

نظرت «ميغ» إلى «سكوت» نظرة خاطفة فرأته قد عاود اللهو بألعابه ، توجهت إليه بالسؤال : « أنا ذاهبة يا «سكوت» لمساعدة السيد «كول» في تحضير العشاء . هل تريد أن ترافقني أو أن تبقى هنا وتلعب ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قَرْر الصبي ما كان متوقعاً : « سأبقى هنا » .

ثم أضاف بحزن : « ما من شجرة عيد يا ماما ! ».

ما من شجرة عيد أو زينة أو بطاقات معايدة . والحق يقال ، ما من شيء يوحي بحلول الميلاد بعد غد .

أجابت ميغ بابتسامة : « لا أحد يحتفل بعيد الميلاد على طريقتنا يا «سكوت» .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لدى جدك وجدتك شجرة كبيرة لتستمتع في النظر إليها غداً » .

ستكون الشجرة في الردهة كما درجت العادة وقد عُلقت عليها الزينة والأضواء البيضاء من دون غيرها لأن والدتها تمقت الأضواء الملونة ، وتحتها هدايا ملفوفة بالأوراق الملونة والأشرطة .

راحت «ميغ» تستذكر بأسى الفرق الشاسع بين هذه الشجرة ونبتة السرخس في شقتها والمزينة بأكوام من

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الخيوط اللمّاعة الرخيصة والأضواء الملونة .

انحنت تقبل ابنها برفق على شعره الأسود وهي تقول له : « سأذهب قليلاً إلى المطبخ لأساعد السيد «كول» يا عزيزي ، ناديني إن احتجت إلى شيء » .

لم يكن من الصعب جداً تحديد مكان المطبخ في هذا الكوخ الصغير . كان باب الغرقة المواجهة لغرفة الجلوس مفتوحاً كاشفا عن غرفة طعام صغيرة للضيوف ،

ما يعني أن الباب الموصد في نهاية الرواق

هو باب المطبخ من دون شك .

كان صوت قرقعة القدور ورائحة الطعام

ليرشداها إلى مكان «جيد كول» .

بدا «جيد كول» لَغْزاً غامضاً فعلاً فلولا

تلك اللهجة الأميركية لبدا من سكان

المنطقة . كان ضخماً للغاية أو أن الكوخ

صغير جد قياساً بحجمه . فضلاً عن

ذلك كانت قطع الأثاث داخل الكوخ

ثمينة مع أنها قديمة وحتى لو لم تكن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

«ميغ» تشتري الملابس الثمينة إلا أنها ومنذ أن وقع نظرها . عليه لأول مرة ، لاحظت السترة المحاكة من الكشمير ، السروال القطني الذي يحمل علامة تجارية مشهورة ، والحذاء المصنوع من الجلد الأسود الناعم الذي انتعله بعد تلك الجزمة الضخمة . حالما دخلت المطبخ ورأته يضع قطعتين من اللحم على المشواة حتى بادرته بابتسامة : « أخبرئي ما كان عساك أن تفعل لو لم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أتوقف عن الضحك ؟ هل كنت لتهزني أم لتصفعني ؟ » .

نظر إليها «جيد» نظرة ساخرة بعينين يعلوهما حاجبان عريضان داكنان وقال متنهداً : « في الحقيقة ، خطر لي أن عناقك قد يفي بالغرض » .

وعلى الفور احمرت وجنتاها من شدة الخجل .

تابع بلهجة لاذعة : « لكن بعد ثوان من التفكير قررت ألا أقدم على تقبيل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أم فى سن المراهقة مهما بلغت درجة الإثارة ! » .

اتسعت مُقلتا «ميغ» لدى وصفه إِيَاها وقالت : « برأيك كم أبلغ من العمر؟ »
.

أجاب بعد أن أمعن النظر فيها : « يبدو جلياً أنك في سن يسمح لك بأن تكوني أم شرعية «لسكوت» » .

وضعت يديها على وركيها وراحت تنظر إليه بعينين ملؤهما الشك ثم ردت : «

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لمعلوماتك يا سيد «كول» أنا أبلغ من العمر سبعة وعشرين عاماً ويبدو أنني لا أثير إعجابك أبدًا » .

ازداد احمرار وجنتيها حتى بدتا مشتعلتين فراح يحملق في وجهها آسراً إِياها بعينين زرقاوين تميلان إلى اللون الرمادي ؟ ثم هز كتفيه معبرًا عن استهجانه لها . وراح يعطيها التعليمات قبل أن يتفقد اللحمة في المشواة : « هيا لماذا لا تُعدي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

السلطة ؟ . . . لا شيء أسوا من هذا الغيظ الذي يتأجج في داخلك » .

ردت «ميغ» بجفاء وهي تتوجه لإحضار حاجيات السلطة من الثلاجة : « هل هذا وضعك أنت أم وضعي أنا ؟ » .

أجاب باقتضاب قبل أن يذهب ليُلقي نظرة على البطاطا : « كلينا معًا » .

بقيت «ميغ» تنظر إليه لبضع ثوان فهذا ليس وضعاً مثاليًا لكليهما . كان «جيد كول» يقطن وحده هنا في الكوخ يتدبر

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أموره ولا شك فى أنه كان , يتشوق لأكل اللحمة في وجبة العشاء غير أنه ملزم الآن بإطعامها وابنها .

نظرت من نافذة المطبخ إلى الخارج لترى الريح تعصف وتجعل الثلوج تتراكم .

فتمتمت : « هل صحيح أن ما من سبيل لنغادر المكان الليلة ؟ » .

لم تع أنها تتكلم بصوت مرتفع إلا حين رفع «جيد كول» السكين ورد عليها بعد أن كبح غيظه : « لا سبيل ولا مجال .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فإذا شئت أن تأكلي الليلة فأقترح عليك أن تُعدي هذه السلطة اللعينة » .

استدارت «ميغ» بعك أن أحضرت أداة التقطيع وراحت تراقبه بحذر وهي تعد السلطة .

صرخ بنفاد صبر : « لا تنظري إلَيَ بهذه الطريقة ! » .

قالت بهدوء : « أى طريقة ؟ » .

أجاب وكأنه يندب حظه : « مثل فأرة تخاف أن يسحقها ذلك الدب الذي ظنه

www.riwaya.ga مكتبة رواية

«سكوت» في البداية أنه أنا . في الحقيقة

، أبدو الآن ، قياساً بسلوكى المعهود ،

وكأننى قطة أليفة ، هل فهمت ؟ » .

عضت «ميغ» على شفتها العليا التي

راحت ترتجف من شدة رغبتها في

الضحك . وفي تلك اللحظة ، بدا

«جيد» «كسكوت» حين يمر بنوبات

غضب ، إذ أحس باستياء شديد لأنه

غير قادر على التصرف على هواه .

أجابت «ميغ» ببرودة أعصاب : «
حسناً كما تشاء . هل تريد أن تحضير
الصلصة للسلطة ؟ » .

قال «جيد» : « هل أريد ؟ . . . » .

ثم أغمض عينيه وتنهد ليكبح غيظه قبل
أن يفتحهما مجدداً ليحملق في وجهها
ويقول : « من تخالين نفسك «ميغ
هاملتون ؟» . يا لهذا القدر المنحوس !
» .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وسارع يضيف قبل أن تتمكن من أن تجيب : « . . . الذي ألقاك على عتبة بابي ؟ » .

صححت له وهي تمزج صلصة الخردل : « في الواقع إن جدار الكوخ هو السبب . لكننا لسنا في صدد مناقشة التفاصيل الآن » .

دمدم وقد بان في عينيه الزرقاوين التقدير المشوب ببعض التذمر : « سنرجئ الحديث عن ذلك ، صحيح ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ثم تابع وهو يتأملها متسائلاً : « ما كان الخطب مع والدتك منذ قليل ؟ بدت مهتمة بتحضيرات العشاء أكثر من خوفها عليك أنت وسكوت » .

وفجأة تحوّل المطبخ ، الصغير أصلاً ، والذي بالكاد يسع لهما ليتحركا بسهولة ، إلى مكان ضيق لا مجال لتتوارى فيه عن أنظار «جيد كول» الثاقبة التي تفترسها . لقد كان محقًا ، فوالدتها لم تسألها أثناء تلك المكالمة القصيرة عن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سبب تأخرها هي وابنها «سكوت» ولو مرة واحدة واكتفت بإعلانها بأن أختها استطاعت الحضور هي أيضاً من لندن ، لأنها كانت من الذكاء بحيث استقلت القطار .

ما من داع لأن تقول إنها مضطرة لإحضار كل الهدايا التي اشترتها «لسكوت» خلافاً «لصونيا» التي جلبت على الأرجح هدايا العائلة كلها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ملفوفة بأوراق مرتبة وموضوعة في كيس واحد أنيق من أفخم المتاجر.

لقد ابتاعت «ميغ» الهدايا بمحبة ولفتها بنفسها لا سيما وأن هذا هو أول عيد ميلاد يترقب حلوله سكوت الذي بلغ من العمر ثلاث سنوات ونصف . حتى أنها تكبدت عناء استئجار سيارة ليتسنى لها إحضار الهدايا إلى هنا .

تلك السيارة التي تضررت جراء اصطدامها بجدار الكوخ .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عليها أن تتصل صباحاً بشركة تأجير السيارات لتفسر لهم ما حدث وهي ترجو من كل قلبها أن يغطي التأمين تكلفة إصلاح الضرر .

هزت كتفها بحركة استخفاف عفوية وهي تلتفت إلى «جيد كول» الذي وقف منتظراً أن تجيب عن أسئلته . وتهربت من الإجابة قائلة : « كل الأمهات هكذا يعطين إطعام أبنائهنَ الألوية » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قد ينطبق ذلك على والدتها لو أنها تعد الطعام بنفسها . فمنذ وُلدت «ميغ» أو ربما قبل ذلك ، كانت السيدة سايك أو بيسي سيّدة مطبخ آل «هاملتون» . وبما أن «جيد كول» لن يقابل والدتها ولن يتناول أي وجبة في منزل عائلة «هاملتون» فلا داعي لأن يعلم ذلك . تابعت: «أنا متأكدة من أن أمك كذلك» .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لانت تعابيره وقال : « بقدر ما أتذكر ، كانت أمّي تخزن دومًا ما يكفي من الطعام لأشباع عائلة مؤلفة من عشرة أفراد . وإن لم تفعل لأرسلت والدى ليقتل بقرة » .

تمتمت «ميغ» وهي تشعر بالحزن وتحاول أن تتخيل ذلك المطبخ الدافئ وتلك الأم الحنون تعتني بعائلتها : « تبدو والدتك رقيقة » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أومأ «جيد» برأسه قائلاً : « إنها كذلك وكذلك والدي وأخواي الصغيران وزوجتاهما وأولادهما » .

تأملته ميغ بنظرة متفحصة : « إذن ، لِمَ لست معهم في عيد الميلاد بدلاً من . . حسنًا ، أن تكون هنا وحدك ؟ » .

لوى فمه : « ربما لأني أفضل أن أكون وحدي بدلاً من أن أكون مع والديَّ وشقيقيَّ وزوجتيهما وأولادهما » .

ربما . . . وربما لا !

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بالطبع لم تتخيل تلك الرقة التي تحدث بها عن عائلته أو تلك النبرة الحزينة في صوته .

لكن لم يتسن لها الوقت لتطرح المزيد من الأسئلة إذ قال : « هلا توقفت عن طرح كل هذه الأسئلة يا سيدة وتفضلت بسكب الطعام ؟ » .

بمعنى آخر ، كان يقصد إنهاء الحديث عن عائلته . بيد أن هذا لم يضع حداً لفضول « ميغ» التي ودت معرفة المزيد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عنهم ، وعمًا إذا كان والده ووالدته

وأخواه وزوجتاهما وأولادهما يشعرون

بالحزن بسبب

غياب أحد أفراد العائلة عن عيد الميلاد

هذا العام .

خالجها شعور لم تعلم مصدره بأنهم كانوا

كذلك .

كان «جيد كول» يؤنب نفسه على

ذلك الخطأ فيما هو يعترف في قرارة

نفسه بأن مكونات الصلصة كانت على

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ذوقه . لم يكن يجدر به أن يفكر في
معانقة «ميغ» فهو لا يستطيع الآن أن
يمنع عينيه من تأملها ، ، لاسيما ذلك
الثغر الناعم بشفتية الكبيرتين والغمازتين
على زاويتهما وكأن تلك السيدة كانت
تعشق الابتسام كثيراً . كما كانت تبتسم
لابنها الصغير بعد أن جلسوا جميعهم إلى
طاولة العشاء وحاول «سكوت» أن
يتلقف بيديه قطعة اللحمة الصغيرة
الخاصة به مع البطاطا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

المقلية والسلطة .

كانت من دون أدنى شك امرأة وليس فتاة ، وقد تقبل ساخرًا من نفسه هذه الحقيقة . فجوابها الذكي قبل العشاء هو جواب إنسان راشد ، وكذلك تينك الشفتين الممتلئتين الجذابتين !

تبًا ! لم يكن عليه أن يفكر في عناقها لأنه لا يسعه التفكير سوى بذلك .

إنه منفى هنا منذ شهرين فقط ، وها هو الآن يري «ميغ هاملتون» وكأنها قارورة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

من الماء وسط الصحراء أو كأس من الآيس كريم وسط موجة من الحر .

قطعت «ميغ» الصمت بسؤالها : « ألم يرُق لك الطعام ؟ » .

عبس «جيد» في وجهها قائلاً : « ماذا ؟ » .

ابتسمت «ميغ» ابتسامة ساخرة وقالت : « كنت تنظر إلى قطعة اللحم وكأنها وجهت إليك إهانة » .

هذا مضحك للغاية !

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لا بأس إن ضحكت فهي ليست من تراوده أفكار مثيرة عن امرأة وصلت إلى عتبة بابه فى محنة وفي عهدتها ابن صغير من دون أب .

أجاب باقتضاب : « الطعام جِيد ، كل شيء جِيد » .

وليثبت كلامه ، غرز الشوكة في قطعة من اللحم ووضعها فى فمه وبدأ المضغ . واستمر في المضغ .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ربما كان يجدر به تقطيع اللحمة إلى قطع صغيرة بعد أن لاحظ أن «ميغ» وابنها يراقبانه .

وعندما لاحظت ميغ شدة تركيز ابنها على «جيد» وبخته قائلة : « من الوقاحة أن تراقب الآخرين يا «سكوت» » . حول الصبي الصغير ناظريه مطيعاً ولم يعيدهما سوى بعد بضع ثوانٍ عندما أشاحت والدته بنظرها ، ليتأمّل وجه جيد بتينك العينين الخضروااين .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

من الواضح أنه لم يسبق له رؤية رجل يحاول التهام نصف بقرة في لقمة واحدة

.

وأخيراً سأله «سكوت» وقد بدا العبوس على جبينه : « لِمَ ليس لديك شجرة يا سيد « كول ؟» .

في الحقيقة لم تكن اللحمة على الإطلاق كل ما يزعجه .

ثم نظر الطفل من حوله مبدياً اعتراضه : « أو حتى زينة ؟ نحن نعشق الزينة ، أليس كذلك يا ماما ؟ » .

وتابع قبل أن يسمع جواب والدته : « وما من بطاقات معايدة أيضاً عليها طيور حمراء . نحن نحبَ الطيور الحمراء ، أليس كذلك يا ماما ؟ » .

ابتسم لوالدته ابتسامة ملؤها البهجة والحبور . كان هذا الطفل ، كباقى الأطفال ، عفريتاً صغيراً ووديعاً كما أقر

www.riwaya.ga مكتبة رواية

«جيد» وهو يتمكن لأخيرًا من ابتلاع

اللحمة . فهذا الطفل يبدو بشعره

الداكن وعينيه الخضراوين والنمش الذي

يعلو أنفه نسخة مُصغرة عن والدته .

لا ، ليس مجددًا . . .

«ميغ هاملتون» ليست من النوع الذي

يعجبه حتى إن لم تكن أماً لطفل صغير .

فهو في الثامنة والثلاثين من عمرها ،

ويريد المرأة طويلة القامة وأكثر رشدًا

وذات خبرة ولا تريد سوى العلاقة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

العابرة التي هو مستعد لأن يقيمها .

بدت «ميغ» امرأة فقدت الكثير من أحلام صباها ولا تحتاج في حياتها لأناني آخر يدفن تلك الأحلام الوردية أكثر .

وتحدثت «ميغ» بهدوء إلى ابنها : « لقد شرحت لك يا «سكوت» أن الاحتفال بعيد الميلاد ليس رائجًا عند الجميع » .

فسأله «سكوت» ببراءة الأطفال : « هل تحتفل بعيد الميلاد يا سيد «كول ؟» » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أجاب «جيد» وقد شعر بالإحراج : «

حسنًا . . . أجل ، عادة . لكن ، حسناً

، أنا لا أعيش هنا عادة يا «سكوت» .

أعيش فى مدينة اسمها نيويورك » .

ثم تابع مُستبقا سؤاله التالى : « بعيداً

جداً من هنا ، في مكان اسمه أمريكا » .

ولا شك أن عشرات البطاقات والهدايا

تنتظره هناك عند عودته .

لكن حتى في نيويورك لم يكن ليضع في

منزله شجرة وشرائط زينة . لم يكن يشعر

بالحاجة إليها وهو يقيم بمفرده هناك في شقة لا يتلاءم أثاثها المصنوع من الجلد والكروم مع تلك الزينة .

اسعت مُقَلتَا «سكوت» اللتان تحيط بهما أهداب طويلة كأهداب والدته ، وقال : « إذا لِمَ أنت هنا وليس هناك ؟ » .

كان «سكوت» نسخة طبق الأصل عن والدته التي سألت «جيد» سؤالاً مماثلاً قبل العشاء .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الفرق هو أنك لا تشعر بالراحة إذا ما تملصت من أسئلة الأطفال الصغار أو كذبت عليهم .

لكن جيد لم يكن مستعداً لكي يخبر الصبي الصغير الحقيقة ، لا سيما وأنه لم يبدُ على وجه «ميغ» ما يدل على أنها تعرفت إليه عندما قام بالتعريف نفسه في بادئ الأمر .

ترى اين كانت «ميغ» خلال الأشهر التسعة الأخيرة حين أصبح الاعتداء

www.riwaya.ga مكتبة رواية

على حياته الخاصة كابوساً أجبره على المجيء إلى انكلترا وطلب العزلة في هذا الكوخِ لينعم بالسلام وليُنجِز أعماله في جو من السكينة؟ ولكن هذا لا يعني أنه استطاع العمل . حسنًا . . . ليس كثيرًا على أي حال . إلا أن هذا الهروب من الشهرة أفضل عن لا شيء .

تدخلت «ميغ» برفق لتُصلح الموقف بعد أن لاحظت صمته الطويل فتوجهت بالحديث إلى «سكوت» : « أظن أننا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أزعجنا السيد «كول» بما يكفى لهذا المساء . والآن ، حان وقت الاستحمام والخلود إلى النوم » .

احتج الصبي الصغير : « ولكن يا ماما سوف يأتي بابا نويل ليلة غد » .

تبسمت «ميغ» وقالت : « لهذا ، عليك أن تنام جيداً هذه الليلة . دعني أساعد السيد «كول» في رفع الأطباق عن المائدة ومن ثم آخذك لتستحم . . .

» .

وقطعت حديثها لتنظر إلى «جيد» بجفاء وتسأله : « هل لديك مياه ساخنة للحمام ؟ » .

أوما برأسه وقال: « ونوع من الدوش ».

ثم نهض سائلاً إياها : « هل ستحتاجين لامتعتك لأجلبها من السيارة ؟ » .

لم تعجبه فكرة الخروج مجدّداً وسط الثلوج كما لم يرق له أن تتجول «ميغ» شبه عارية في الطابق العلوي بعد قليل .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

في الواقع ، إن وجود هذا الثنائي هنا لم يكن على الإطلاق مُرحباً به ، لكن بما أنه ليس لهما أي ذنب في ما حصل فعليه أن يختار أهون الشرين ، ما يعني تزويد «ميغ» بملايس للنوم .

رحبت «ميغ» بهذه الخدمة وقالت : « لو سمحت . تكفيني تلك الحقيبة الوحيدة الموجودة في صندوق السيارة »

.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عقد «جيد» حاجبيه الداكنتين متذكراً كل" تلك الأغراض الخاصة بالأطفال التي اعتادت امرأة أخيه أن تلملمها من هنا وهناك عند خروجها من المنزل ، وسألها : « هل تسافرين مع القليل من الأمتعة ؟ » .

أجابته « ميغ» وهي تجمع الصحون وتسعى في الوقت نفسه للتهرب من عينيه « سنبيت فى منزل والدىَّ حتى صبيحة العيد فقط » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بدا له أن «ميغ» قطعت مسافة طويلة لتقوم بزيارة مدة ثلاثة أيام ، لا بل يومين كما تبين الآن . فلماذا ؟

أجاب «سكوت» والسعادة تغمره : « نحن ذاهبان لرؤية جدتي وجدي » .

أومأ «جيد» برأسه وقد وجد نفسه مُرغما على الابتسام للصبي الصغير وقال : « إذا ، لقد فهمت » .

لم يكن الأطفال ، لاسيّما الصغار منهم كهذا الصبي ، جزءًا من حياة «جِيد»

www.riwaya.ga مكتبة رواية

اليومية . مع ذلك فهو متيم بأولاد إخوته وأخواته بالرغم من كل ما جاء على لسانه .

نظر «سكوت» إليه وسأله متلهماً لسماع جوابه : « هل تعرف جدتي وجدي ؟ » .

هز برأسه ورد : « لا يسعني القول إنني صادفتهم يومًا ، لا » .

تدخلت والدته لتقول له: « «سكوت» لقد حان الوقت فعلا لـ. . . » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لكن «سكوت» تابع حواره مع «جيد» رغم مقاطعة والدته والغصة في قلبه هذه المرة : « ولا أنا » .

ازداد فضول «جيد» أكثر فأكثر وأطرق مفكرًا .

لا بد أن سكوت بلغ عامه الثالث أو ربما أكثر ، وهو يزعم أنه لم يسبق له أن تعرف إلى جديه . يمكن لـ«جيد» أن يفهم انقطاع الطفل عن جديه من جهة والده وليس من جهة والدته .

إلى أي فئة ينتمي آل «هاملتون» حتى استطاعوا ، ألا يروا حفيدهم قبل الآن ؟

3– ظروف غير عادية

سألت «مِيغ» وهي في الرواق تهمّ بالدخول إلى غرفة الجلوس : « هل يمكنني الدخول ؟ » .

كانت قد وضعت «سكوت» في الفراش في غرفة الضيوف ، وهي غرفة تحوي

سريرًا مزدوجاً يمكنها أن تتقاسمه مع
«سكوت» . لابد أنها محظوظة إذ كان
بالإمكان أن تموت هي وابنها داخل
سيارة مفقودة في
إحدى زوايا الكرة الأرضية .
وتابعت سؤالها : « إذا كنت مشغولاً
يمكنني أن . . . » .
أجاب «جيد كول» باستهزاء بعد أن
وضع جانباً الكتاب الذي يتصفحه : «

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يمكنك أيضاً ماذا ؟ خياراتك محدودة في هذا الكوخ » .

احمرت وجنتاها خجلاً وبدأ يخالجها شعور غريب لأنها وحيدة مع هذا الرجل الغامض . فبالرغم من أن عمر «سكوت» لم يتجاوز الثلاث سنوات ، إلا أنه شكل حاجزاً بين هذين الراشدين وحال دون حصول أي حوار بينهما .

هذا الوضع لم يبق على حاله ، لا سيما بعد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أن كشف «سكوت» حقيقة علاقته بجديه . لكن ميغ لم تشأ في الحقيقة أن تثير موضوع عائلتها أبدًا .

قالت مكشرة : « حسنًا ، يمكنني أيضاً أن أرتب المطبخ » .

قاطع جيد مشروعها فقال : « كل شيء مرتب . فتجهيزات الكوخ بغالبيتها تقتصر على الحاجات الأساسية ، لكنه مُزود بجلاية وغسالة ويا للعجب . . . بتدفئة مركزية ! » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سبق أن لاحظت ميغ أن الكوخ برمته دافئ وأن موقد الحطب في الغرفة كان لإضفاء أجواء حميمة وليس للتدفئة .

– هل كان الكوخ مُجهزاً بتلك المعدات عندما اشتريته أم أنك أضفتها فى ما بعد ؟

دخلت الغرفة وهي تشعر بقليل من الخجل من ذلك الرجل ، وقد بدا ذلك من تفاهة حديثها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم يكن ذلك مفاجئاً ، فجيد كول رجل وسيم وغامض ، من النوع الذي يثير لدى النساء توترًا ويزيد من سرعة نبضات القلب في أكثر الأوقات شاعرية . إنها هنا وحيدة معه في الكوخ ، والثلج يفترش الأرض في الخارج . وجدته جذاباً للغاية ، بمظهره الغامض ، وعمق عينيه الزرقاوين وقوة جسده النحيل .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ويا له من اعتراف من امرأة لم ترض بالخروج في موعد واحد منذ أكثر من ثلاث سنوات .

هز جيد كول رأسه وقال : « هذا الكوخ ليس لي يا ميغ ، إنه لـ. . . . أحد أصدقائى . وأنا أقيم هنا لوقت وجيز »

.

لم يكن هذا بالضبط ما أرادت ميغ معرفته . وهي لم تفتها تلك الوقفة القصيرة قبل أن يُخبرها لمن تعود ملكيّة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الكوخ ، فبادرت بالسؤال : « هل تعمل في هذه المنطقة ؟ » .

استوى فى جلسته وقد بدا الحزن في عينيه : « لا » .

رمقته بنظرة خاطفة وهي غير واثقة ما إذا كأن عليها أن تجلس هي أيضاً ، ليكملا هذا الحوار المتكلف : « ربما لديك أصدقاء في هذه المنطقة ؟ » .

فرد بتكشيرة : « لا أعرف أحداً هنا »

.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يا له من رجل ثرثار ، أليس كذلك ؟ ربما من الأفضل أن تعتذر وتعود أدراجها .

– حان دوري في الكلام . لماذا لم يسبق لسكوت أن رأى والديك ؟

علمت من نظراته الثابتة أنه لن يدعها تتملص من الإجابة ، غير أن صراحة سؤاله هذا أربكتها . فمعظم الناس ، معظم الئاس المهذبين ، ما كانوا ليسألوا عن هذا الموضوع . لكن جيد كول لم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يبذل أيَّ جهد ليتصرف بأدب وتهذيب ، فلِمَ عليه أن يغير سلوكه الآن ؟

تابع جيد كول برقة : « كنت على وشك إعداد مشروب ساخن ، فهلا شاركتي؟ » .

– لم لا ؟

كان يومها طويلاً وحافلاً ولم تظن أن الوضع سيتحسن لو عاود جيد كول طرح أسئلة كتلك التي طرحها لتوه .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عندئذ ، نهض «جيد» محاولاً تجنب اصطدام رأسه بالسقف كما فعل في المرة السابقة .

كان عليها أن تدرك أنه لا يملك هذا الكوخ فهو أشبه بمارد حشر نفسه في مصباح صغير . إنه بكل بساطة لا يتناسب وحجمه . اقترح عليها مستهزئًا : « ربما تستطيعين التفكير في إجابة عن سؤالي بينما أعد فنجانينا » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مرت الثواني على ميغ وكأنها ساعات
طوال ازداد معها اضطرابها ، فمع مرور
كل دقيقة كان إحساسها به يزداد حدة
. فبالرغم مما قد يظنه هذا الرجل ، إلا
أنها لم ولن تتورط في علاقات عابرة ،
حتى مع رجل
التقته وسط عاصفة ثلجية .
وشعرت بالإحباط لأنه لم يكن لديها
جواب مقنع على سؤاله . وتلك
الابتسامة الساخرة التي ارتسمت على

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وجهه قبل أن يتركها متوجهاً إلى المطبخ بدت وكأنها تقول إنه كشف أمرها وعلم أنها لا تملك ردًا .

حسناً ، لديها جواب ولكنّه ليس جواباً تستطيع أن تعطيه إياه من دون أن تبدو جاحدة بحق والديها اللذين لا يستحقان ذلك .

لم يكن سهلاً عليهما أن يتقبلا عودة ابنتهما إلى بيتهما مع حفيد لم يعرفا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

والده . وعاد «جيد» وفي يده كوبان وإبريق مليء بالشوكولا الساخن .
– لنعد إلى حديثنا . هل فكرت في جواب أم بعد ؟
وأضاف وهو يسكب الشوكولا في الكوبين قبل أن يقدم أحدهما لميغ : « لِمَ لا نتفضل بالجلوس ؟ » .
إذا كان قصده من ذلك أن يُشعرها بالارتياح فهو لم يحقق مُبتغاه . فبعد نظرة واحدة إلى وجهه حيث رأته يرفع حاجبيه

www.riwaya.ga مكتبة رواية

باستهزاء ، أدركت أنه لا ينشد راحتها وأنه نادراً ما سعى في حياته إلى التخفيف عن الآخرين .

أدركت ميغ سريعًا أنه لم يكن رجلاً سهل المعشر . وقد زاد الأمور سوءً اعتداده الكبير بنفسه ، وارتدائه أفخم الملابس من دون أي تقدير لقيمتها ، أو جاذبيته الساحقة .

كان على ميغ ألا تخدع نفسها بل أن تقر بأن أكثر ما يزعجها هو تلك

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الجاذبية التي سحرتها . إنها هنا وحيدة ،
لا رفيق لها سوى «سكوت» النائم ولا
أنيس لها سوى رجل كان من المستحيل
ألا يسحرها بمظهره الخارجي .
– هل ما زلت تفكرين بجواب ؟
رجل تصل فظاظته المتعمدة إلى حد
الوقاحة .
حدقت فيه بنظرة قاسية كانت كفيلة لأن
تجمد الدماء فى عروق «سكوت» ، إلا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أنها لم تُحرك في هذا الرجل الأكبر سناً ساكناً بل أثارت ابتسامته .

– عادة نحن لسنا فضوليين في هذا البلد إلى حد التدخل في حياة الآخرين الشخصية .

هز كتفيه العريضين في حركة تخلو من الاعتذار : « ولكنها ليست ظروفًا اعتيادية » .

لا ، ليست اعتيادية ، هل هى كذلك ؟ ففى الحياة العادية لا تحظى الأمهات

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الوحيدات كميغ باهتمام رجل لا يلفته عادة سوى النساء المحنكات من أهل نيويورك .

الأمر الذي أثار مجدداً السؤال الذي وجهه إليه «سكوت» في وقت سابق . لِمَ هو هنا وليس في نيويورك ؟

– في هذه الحال . . .

توقفت عن الكلام لترشف جرعة من مشروبها قبل أن تضيف : « . . . قد لا تمانع في أن تشرح لي . . . » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قاطعها باستهزاء وبرودة أعصاب وهو يسترق النظر إليها من تحت أهدابه : « لقد طرحت ما يكفي من الأسئلة لليلة واحدة . أم هل تريدين أن أعيد عليك طرح السؤال ؟ » .

ردت باقتضاب : « لن يُجدي ذلك نفعًا »

عاود «جيد» طرح سؤاله بعد أن مرت لحظات أطبقت فيها ميغ شفتيها .

– ما زلت أنتظر يا ميغ .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تضايقت ميغ لمناداته لها باسمها الأول ولإصراره على طرح سؤاله . علما أنه كان من السخافة في ظل هذه الظروف أن يستمرا في الحفاظ على الرسميات . التجأت إلى ارتشاف مشروبها لتؤخر جوابها قبل أن تقول : « عليك أن تعرف والديَّ لتفهم الموضوع » . رد بلهجة قاسية : « لا أصدّق ذلك »

.

– كان والدي مريضاً .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سأل بعنف : « كم يبلغ عمر «سكوت» ؟ » .

– ثلاث سئوات ونصف السنة . ولكنه . . .

قال غير مصدق : « هل كان والدك مريضاً طيلة ثلاث سنوات ونصف ؟ » .

أجانت بحماسة : « طبعًا لا . كنت أقصد . . . لقد تجاوز والدانا عامهما الستين » .

– والدانا؟ هل لديك إخوة أو أخوات؟

ردت ميغ مكرهة : «أجل ، أخت واحدة » .

هي تعلم أن صونيا المحنكة لن تشعر بالاحراج أو تتلعثم في حديثها مع هذا الرجل الجذاب فهي تعرف جيداً ما يجدر بها فعله وقوله .

تابع سؤاله برقة : « هل هي أكبر أم أصغر سنًا ؟ » .

أجابت وهى تتنهد : « أكبر ، بالكاد . . . » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كانت واثقة من أنها نجحت في إرباكه إذ اتسعت مُقلتاه .

– لديك أخت توأم ؟

– لا داعي لكل هذا التعجب .

حان دورها الآن للاستهزاء به : « يُقال إن لكل واحد منا شبيهه في هذه الدنيا ، وصودف أن أختي هي شبيهتي » .

قال بتجهم : « هل أنتما متشابهتان ؟ » .

أكدت مسرورة : « أجل » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ثم أضافت بتمهل : « أو على الأقل كنا متشابهتين » .

قال «جيد» مستهزئاً وقد بدا واضحاً أن ارتباكه لم يدم طويلاً : « إما أن تكونا متشابهتين أو لا تكونان » .

سارعت تؤكد له : « نحن متشابهتان » .

لا داعي لأن تذكر له أن صونيا بيضت أسنانها وأصلحتها ، كما خففت من النمش الذي يشوه جمال أنفها ، وتعرضت لأشعة أكسبتها سُمرة تدوم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

طول السنة . ثم تابعت بتنهد : « تتميز صونيا بشعرها القصير وهي محامية في حين أعمل أنا في المجال الفني . أنا مهندسة ديكور » .

ضحك وهو يجول بنظره في الغرفة : « لابد أنك تتشوقين لتغيير ديكور المنزل »

.

لم تكن متأكدة من أنها ستعلم من أين تبدأ .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حسنًا ، لا . هذا ليس صحيحاً . بالرغم من أن الأثاث هنا بالٍ ومريح لكنه يفتقر إلى الأناقة أو الجاذبية . يجب أن تبدأ بالتخلص من المفروشات الثقيلة واستبدالها بـ. . .

– كنت أمزح وحسب يا ميغ فكما أخبرتك أنا لا أملك هذا المكان . ولطالما أجد كرسيًا لأجلس عليه وسريرًا لأنام فيه ، فلا يعنيني الأمر .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

انحنى إلى الأمام وراح يحرك كوبه بين يديه الطويلتين ، وقال لها برقة : « بدأت أكونَ فكرة عن الوضع » .

أجفلت ميغ وسألته : « هل هذا صحيح ؟ » .

أحنى رأسه ساخرًا « أجل . . . أنتما توأمان لوالدين مُسنين ، الأولى عملية وطموحة والأخرى فنانة وحساسة . نجحت الكبرى في مهنتها كمحامية وفي علاقتها الزوجية » .

ثم ما لبث أن سألها : « هل هي متزوجة ؟ » .

وعندما أومأت ميغ برأسها إيجاباً أردف : « أظن أنها كذلك . أرجح أيضًا أن لا أولاد لديها ، فأمامها متسع من الوقت لذلك في ما بعد ، إذا ما فكرت في الأمر . أما الصغرى فتتمتع بموهبة فنية وآثرت الانتساب إلى معهدد فنى فى لندن عوضاً عن دخول الجامعة قبل أن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تدخل أخيراً مُعترك الحياة لتجد نفسها في نهاية المطاف حاملاً . . . » .

قاطعته ميغ بلهجة قاسية بعد أن تنحنحت قليلاً لتُخفي أثر الدموع في عينيها : « أعتقد أنك تكلّمت بما يكفي . من غير اللائق مناقشة حياة الناس الخاصة بهذه الطريقة » .

رد بلهجة ساخرة : « هل تقصدين بذلك التحفظ البريطانى ؟ أجل ، سمعت عنه من ذي قبل . عندنا في الولايات

www.riwaya.ga مكتبة رواية

المتحدة ما يُسمى باحترام خصوصيات الآخرين ، لكني أتذكر شخصاً كان يطرح على قبل العشاء أسئلة عن عائلتي » .

سارعت ميغ إلى معارضته بعد أن تمكنت كلياً من حبس دموعها : « شتان ما بين هذا الموقف وذاك » .

بعد أن ذرفت سيولاً من الدموع على مر السنوات الماضية حزناً على عائلتها ، لم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تشأ الآن أن تدمع عيناها أمام هذا الرجل .

أمعن «جيد كول» النظر فيها وقال : « هل أوشكت على كشف الحقيقة ؟ » .

لقد أوشك أن يفعل حقاً على الرغم من أنه لم يكن مصيباً في كل شيء .

– لا تغتمي لهذا الشأن. أنا أيضاً كالبطة الصغيرة في قطيع من الإوز .

فجدي كان مزارعاً ووالدي مزارع ، وأخواي مزارعان .

ردت بنبرة تحدٍّ وهي لا تزال منزعجة من حديثهما السابق : « وانت يا سيد «كول» ماذا تكون على وجه التحديد؟ » .

أجاب بلهجة واثقة : « حسناً ، أؤكد لك أنني لست مزارعاً » .

لقد علمت ذلك منذ البداية . فهذان الساعدان القويان لا يبدو عليهما أنهما زرعا المحاصيل أو رعيا الحيوانات . لعله

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فعل فى أيام صباه لكن حتماً ليس في السنوات العشرين الأخيرة .

تبسم بثقة واستخفاف : « لم نكن بصدد مناقشة موضوعي » .

شربت ميغ بعضاً من مشروبها قبل أن تضع الكوب الذي أوشك أن يفرغ على الطاولة : « ولا كنا نناقش موضوعي . إذا أمنت لي ولسكوت ملاذاً لنبيت هذه الليلة فهذا لا يخولك أن تعلق علي أو على عائلتي » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

انتفض «جيد» ووضع كوبه على السجادة قبل أن ينهض : « لا ؟ ماذا يخولني إذا ؟ » .

كانت لهجته قاسية تنم عن تحدٍّ كما راحت عيناه الزرقاوان تراقبانها ببطء من أعلى رأسها ذي الشعر الأسود حتى أخمص قدميها ، قبل أن تستقر نظراته على شفتيها .

لقد قصد ، لغاية في نفسه ، أن يثير أعصابها ونجح في ذلك .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أدركت ميغ أنه يتلاعب بأعصابها ، وقد بدا ذلك من تكشيرة فمه الساخرة ومن بريق الضحك البادي في عينيه .

تنفست الصُعداء وانتهرته بشدة : « يخولك أن أقدم لك امتناني » .

هز رأسه برقة ومضى يقول : « وهذا ما فعلته مرات عديدة » .

بدا الغيظ جلياً في عينيها حين أكدت كلامه : « وهذا ما فعلته مرات عديدة والآن أعذرنى » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

انحنت لتتناول حقيلة يدها من علي الأرض ومضت تقول : « كان يوماً طويلاً وأنا أشعر بالتعب الشديد » .

رد بكلام ساخر : « سأعذرك يا ميغ . وأنا واثق من أن معظم الرجال سيغفرون لك أي شيء » .

زمت شفتيها وأجابته بحزم قبل أن تستدير وتمضي في سبيلها : « أتمنى لك ليلة هانئة يا سيد كول » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ردد وراءها بأسلوب ساخر: « ليلة هانئة يا ميغ » .

شعرت بتشنج خفيف في كتفيها ، ولم تستعد أنفاسها إلا بعد أن أوصدت الباب وراءها وأضحت خارجاً في الرواق .

كان «جيد كول» فظًا ، عدائياً ، هازئاً . بمعنى آخر ، إنه رجل استفزازي .

كان أيضاً أحد أوسم الرجال الذين صادفتهم في حياتها ، وهو أيضًا أكثرهم إثارة .

* * *

– اشرح لي وحسب ماذا تظن نفسك فاعلاً ؟

رفع «جيد» عينيه ليرى ميغ تتوجه ناحيتهما وسط الثلج كانت عيناها تلمعان بلون أخضر داكن وخداها ممتقعين من شدة غضبها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يبدو أن شيئاً أثار غضبها ، وقد تبين الآن أنه الفاعل . لكنه لا يرى ما فعله ليثير مثل رد الفعل هذا ، المرة الأولى التي يراها فيها هذا الصباح .

أما بالنسبة لما يفعله هو و«سكوت» ، فمن الواضح أن كرتي الثلج الضخمتين التي تعلو إحداهما الأخرى خير شاهد على ذلك . لكنه أراد أن يُمازحها فأجاب : « نحن نصنع رجل ثلج » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ردت بنبرة لاذعة : « ألا تعتقد أنه كان من الأجدر إيقاظي أولاً وإخطاري بما قررتما القيام به ؟ » .

حدق «جيد» في وجهها وعقد ذراعيه على صدره : « لماذا ؟ هل كنت تنوين صنع رجل ثلج أنتِ أيضًا ؟ » .

– لا بالطبع أنا . . .

قطعت كلامها الذلا يعكس غضبها لتحملق فيه وقد بدا عليها الأحباط : « أنت . . . » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عبس «جيد» فى وجهها وقال : « كان عليك أن تعتمرى قبعة وترتدي معطفاً قبل أن تخرجي إلى هنا » .

كانت ترتجف إذ بدأت تشعر بالبرد عبر كنزتها الصوفية وسروالها القطني الطويل

.

– لا سيما وأنني تأكدت من أن ملابس «سكوت» مناسبة قبل أن أسمح له بالخروج .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كان الصبي الصغير المُفعم بالحيوية مُغطى بما يكفي من الثلوج ليكون هو نفسه رجل ثلج فقد أصر على تشكيل كرات الثلج الضخمة بنفسه إلى أن أصبحت ثقيلة جداً فتولى «جيد» المهمة .

– أليس رجلنا رائعًا يا ماما ؟ يقول «جيد» إن لديه قبعة وشالاً قديمين يمكننا أن نُلبسه إيَّاهما .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

صححت له «ميغ» بشيء من الذهول

وهي تزيل بعض الثلج عن ثيابه : «

السيد كول يا عزيزي » .

ابتسم «سكوت» وأردف ببراءة الأطفال

: « لكنه قال إن بإمكاني مناداته

«بجيد» يا ماما . يقول «جيد» إن علينا

تزيين وجهه بجزرة وبعض قطع الفحم » .

راقب «جيد» حركة شفتيها كلما ردد

ابنها عبارة «يقول جيد» ، فشعر بأنها

ستنفجر غيظاً إن لم يتدارك الأمر . لذا ،

www.riwaya.ga مكتبة رواية

اقترح عليه بوداعة : « ما رأيك في أن ندخل أنا وماما إلى الكوخ لنحضرها في الحال ؟ » .

أضاف بعد أن بدا على الصبي الخيبة لأنه لن يشارك في تلك المهمة : « يمكنك إذا شئت أن تفتش في حزمة الحطب هناك على بعض الأغصان الصغيرة لصنع اليدين » .

ابتسم «سكوت» ابتسامة عريضة قبل أن يعدو باتجاه رزمة الحطب غير آبه

بالهواء البارد الذي جعل أسنان والدته تصطك ، صارخًا : « فكرة رائعة ! » .

رفع «جيد» حاجبيه الداكنين حين لاحظ التجهم الذي ما زال بادياً على وجه ميغ وقال مشيراً إلى الكوخ : « هلاً دخلنا ؟ » .

كشرت وصرخت قبل أن تستدير وتعود أدراجها : « أعتقد أن ذلك أفضل ! » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لحقها «جيد» بخطى بطيئة وهو واثق من أنها لن تقبل بالطريقة التى راح يتأملها فيها . لا ريب في أن ميغ هاملتون امرأة حسناء ، وأن «سكوت» طفل طيب . لكنهما تعقيد هو بغنى عنه في حياته ، سواء الآن أو في أي وقت آخر لذا من الأفضل له أن يتوقف عن التفكير بهذه الطريقة . وراح يذكر نفسه بصرامة بأنه لا يريد التورط على الإطلاق . وكانا قد وصلا إلى المطبخ حين استدارت ناحيته

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قائلة : « لا أسمح لسكوت بأن يبالغ في رفع الكلفة مع الكبار » .

أومأ برأسه وآجاب بلباقة : « هذا جِيد . ولا أنا أؤمن بالمبالغة في رفع الكلفة مع الكبار أيضاً » .

مع أنه لم يكن يضمن التزامه بكلامه لمدة أطول في حضور ميغ . كانت جميلة حقًا عندما تفقد أعصابها فعيناها تلمعان كالزمرد وخداها يتوردان ، حتى شفتاها اشتدت حُمرتهما . وقفت أمامه ووضعت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يديها على وركيها ثم راحت توجه إليه

الكلام بانفعال : « أنت

تعلم تمامًا ماذا أقصد . ما معنى أن

تختفي وإياه خارجاً بهذه الطريقة ؟ » .

– لا أعرف أين تكمن المشكلة ؟

– المشكلة هي أنني استيقظت لأجد

سكوت قد اختفي وما من أثر لكما في

الكوخ .

وازدادت حدة توترها وهي تردف : «

لو لم أسمع ضحك «سكوت» وأنظر من

www.riwaya.ga مكتبة رواية

النافذة إلى الخارج وأراكما لظننت . . .

» .

قاطعها ببرودة أعصاب : « ماذا ؟ ماذا ظننت يا ميغ ؟ أنني خطفته ؟ فلو تبادر هذا إلى فكرك فسوف . . . » .

ردت بنبرة مصدومة تؤكد صدقها : « لم يحدث هذا ! » .

وأضافت بسرعة : « في الواقع ، استيقظت ووجدت السرير فارغاً إلى جانبي » .

قال وهو يسترخي من جديد : « وخيبات الأمل تتوالى » .

رمقته ميغ بنظرة عتاب : « أنت تتكلم عن نفسك طبعاً » .

تمتم بصوت أجش : « بالطبع ، أجل »

.

تأملته بنظرات ثاقبة قبل أن تمضي في حديثها : « على أي حال ، استيقظت ولم أجد «سكوت» إلى جانبي كما لم أجد ملابسه . قمت بجولة سريعة في

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الكوخ فلم أجد لك أثرًا أنت أيضاً .
خلت . . . حسناً ، ما خلته هو أن «سكوت» استيقظ من دون شك ولم يدر أين هو فمضى في سبيله وتاه في مكان ما . وخلت أنك تعقبته ولعلكما ضللما طريقكما ، بين الثلوج ثم سمعت «سكوت» يضحك » .

غصت بالدموع مجدداً وأردفت : « وعندما نظرت من النافذة إلى الخارج ووجدتكما تستمتعان بصنع رجل ثلج ،

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حسنًا ، حيئها انتابني شعور بالغضب بدلاً من الخوف » .

– وخرجت على الفور من الكوخ وأنت مستعدة لأن تمزقيني إرباً ! لن تُصابي بالهستيريا من جديد ؟ أليس كذلك ؟

ونظر إليها بحذر . لا شك أنها أكترت من الكلام حتى أنها قالت في الدقائق الخمس الأخيرة أكثر مما نطقت به طيلة حديثهما السابق أثناء تعارفهما .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لأنك تعلمين بما هددتك في المرّة السابقة عندما أصابتك الهستيريا .

علم مِن اللون الذي تورد به خداها فجأة أنها تذكرت . فأخذت تدافع عن نفسها بقوة : « أنا لن أصاب بالهستيريا طبعاً » .

– لا !

لم تكن بحاجة لإظهار تلك الثقة كلها ، فهذا لا يُرضي غروره . ذلك الغرور الملعون ! والآن من يفتقد إلى العقلانية ؟

لقد نبه نفسه إلى ضرورة ألا يتورط ، وها هو الآن يشعر بالانزعاج لأن المرأة التي أرادها أن تبقى على مسافة منه تسعى لإبقاءه على مسافة منها . أقرت له بنبرة عاطفية : « لقد أصابتنى الهستيريا فى وقت مضى » .

بدأ يضرب على الوتر الحساس : « حقاً؟ » .

أومأت برأسها واجابت : «أجل ، ومن ثم . . . ماذا تفعل؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أمسك بأعلى ذراعيها ، فانقطعت أنفاسها وقالت : « لست مضطرًا لأن تهزني » .

رفعت رأسها ونظرت إليه بعينين بريئتين وأردفت : « قلت لك ، كنت . . . » . وانقطع حديثها حين أحنى «جيد» رأسه وعانقها عناقاً كان يتوق إليه منذ الليلة الماضية . كانت ناعمة وباردة بين ذراعيه بيد أن تلك البرودة سببها حرارة الجو ، وقد أدرك ذلك سريعًا بعد أن أصبحت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

دافئة ومثيرة . وتسلح بالجرأة الكاملة التي كانت تنقصه ، فطوق خصرها النحيل فتجاوبت معه ووضعت يديها الناعمتين على كتفيه .

– ماما ، هل عثرتما عل الجزرة و . . .

ما هذا ؟

استعادت ميغ وعيها سريعاً ما أن تناهى إلى مسامعها صوت ابنها فارتدت على عجل إلى الوراء لتفلت من قبضته وتتوجّه إلى حيث وقف ابنها في الرواق

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وقد فتح فاه ذهولاً وبدت في عينيه الخضراوين الواسعتين علامات الفضول .

ارتجف صوت ميغ قليلاً عندما همت بالكلام : « لا لم نعثر عليها بعد يا «سكوت» . كنا . . . دخل شيء فى عينى فحاول السيد «كول» إخراجه » .

راحت تلقق الكلام بمنتهى الرقة ما جعل «جيد» يحملق فيها أيضًا .

لكن ، لعل السيناريو الذي وضعته أفضل من إخبار «سكوت» أن «جيد»

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كان يعانق والدته برغبة جامحة سرعان ما فقد السيطرة عليها .

يا لهذا الالتزام بقرار عدم التورط !

ما الذي كان يفكر فيه ؟

المشكلة هي أنه لم يكن يفكر أبداً ، بل يشعر . كما أن ميغ رائعة فعلاً .

وفيما انحنت ميغ ليتأكد ابنها من أن ذلك الجسم الغريب الذى ما هو إلا من نسج الخيال قد خرج فعلاً من عينها ،

قال «جيد» : « الجزرة في الثلاجة والفحم في الدلو في غرفة الجلوس » .

استدارت ميغ ناحية «جيد» فبدا وجهها شاحبًا من شدة التوتر وسألته حين رأته يتوجه نحو الباب : « إلى أين أنت ذاهب ؟ » .

رد بصوت عالٍ : « خارجاً » .

طرفت بعينيها : « خارجاً إلى أين ؟ » .

تأفف قائلاً : « خارجاً وحسب ! » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وجد أنه من الأفضل الهروب ، لكنه لم يحدد وجهة سيره . ما يعرفه فقط هو أنه يحتاج إلى الابتعاد قليلاً عن ميغ ، عله ينسى رقتها ونعومتها .

4- لقاء جليدي

- الطرق الرئيسية باتت سالكة إذا أردت أن تجمعي أغراضك .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

رمقت ميغ «جيد» بنظرة مجفلة وهي تجلس إلى الطاولة تلعب بالورق مع «سكوت» إذ لم تسمع وقع خطواته حين دخل إلى الكوخ .

غاب «جيد» أكثر من ساعة كانت كافية لها لتساعد «سكوت» على إنهاء صنع رجل الثلج ولتحضر له وجبة فطور صغيرة ولتعد لنفسها فنجانا من القهوة قبل أن تجالسه وتلعب معه بالورق .

ولم تكن طيلة ذلك الوقت تترقب عودته سوى جزئياً ، فهي لا تدرى ماذا ستقول له بعد كل ما جرى بينهما خصوصاً وأن ذاك العناق لا يزال في ذاكرتها . إنها أمرًا واحدًا وهو أن شعورها بالوحدة يخف أثناء وجوده في الجوار . حسنًا ، إنها لا تشعر بالوحدة في حضوره . لكن الأمر لم يقتصر على ذلك لقد كانت ثقة «جيد» بنفسه تطمئنها إلى أن الأمور لا يمكن أن تسوء أثناء حضوره .

لكنه قد يعانقها مرة ثانية .

كانت صدمتها عظيمة حينذاك حتى أنها لم تقو على مقاومته واضطرت للتجاوب معه . وحالما استفاقت من صدمتها أدركت أنها تستمتع كثيراً ما حال دون ردعه .

لقد تحيرت في ما عساها تفعل خصوصاً وأنها لا تعرفه إلا منذ أربع وعشرين ساعة . ستشعر بالخجل حتماً عندما تلقاه ثانية .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لكن ها هو الآن يعود ليقول لها إن الوقت حان لرحيلها هي و«سكوت» .

قالت لابنها بحنان :

– واصل اللعب أنت يا «سكوت» .

لكنها ما لبث أن غيّرت نبرة صوتها عندما رأت «جيد» يعبس في وجهها :

«أريد فقط التحدث قليلاً إلى السيد «جيد» ».

لحقت به إلى الرواق بعد أن غادر الغرفة وهي تصر على نسيان ما حدث بينهما ، ففي ذلك منفعة للجميع .

إلا أنها عجزت عن غض الطرف عن تقوس شفتيه ، أو عن منع نفسها من التفكير برائحته عندما أخذها بين ذراعيه .

قال بتهكم : « ما الذي تودين قوله لي ؟ أنني استغلالي ؟ أو فاسق ؟ أو ربما تبغين توصيفاً أسوأ ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فسارعت تؤكد له باقتناع : « لا ، بالطبع لا . ما حصل قبل قليل كان نتيجة تراكم الكثير من المشاعر » .

كانت تجهل السبب الحقيقي ، لكن ما تعلمه فعلاً أنها لن تنسى ما حصل أبداً .

– قلت إن بإمكاننا الرحيل ! هل يعني ذلك أنني أستطيع الآن الاتصال بالمرآب المحلي ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– هذا يعني أنني سلكت الطريق الرئيسي ذهاباً وإياباً .

سألته بلهفة : « هل هي سالكة ؟ » .

– أجل ، لكنها ما زالت زلقة ورديئة . أَظن أن بإمكاني اصطحابكما بسيارتي ذات الدفع الرُباعي ما يقارب نصف ميل من هنا ومن ثم تصبح الطريق الرئيسية سالكة ما يسمح لي بمواصلة القيادة حتى «منزل» والديك .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

اتسعت مقلتا ميغ لدى عرضه هذا ،
وراحت تعترض دونما تفكير : « لا أظن
أنها فكرة سديدة على الاطلاق » .
امتقّع لون خديها خجلاً ورفعت
حاجبيها قبل أن تردف : « أعني أنه لا
يمكن أن أزعجك أكثر » .
رد بتهكم : « وهل يعني أن الخيار الثاني
الذي يقضي ببقائك أنت و«سكوت»
هنا لا يشكل لي أي إزعاج ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

احتدت وهي تُقر أنها شكلت مع سكوت مصدر إزعاج له منذ قدومهما :

« لم أقصد أننا سنبقى هنا » .

رغم أن الأمور كانت تسير على ما يرام مع «سكوت» منذ الصباح . لكن هذا كان قبل أن يعانقها . رأت ميغ أنه ندم على ما يبدو ندما شديداً على فعلته تلك ، ما جعله يرغب في تكبد عناء القيادة في ظروف خطرة بغية التخلص منها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قالت عابسة : « إذا كانت الطريق الرئيسية سالكة الآن فربما أستطيع أن أطلب سيارة أجرة » .

سارع «جيد» يسألها : « اتعنين حقاً ما تقولينه يا ميغ ؟ إن الوصول إلى الطريق الرئيسي عمل انتحاري بحد ذاته وإن أصبح الطريق الرئيسى سالكاً الآن فإن توقعات الأرصاد الجوية تنذر بمزيد من الثلوج خلال النهار » .

– أصحيح ذلك ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أكد لها بإصرار : « صحيح . والآن إليك هذا الاقتراح : ثمة انفراج طفيف في الطقس وبمقدوري أن اصطحبك أنت و«سكوت» إلى منزل والديك لقضاء عيد الميلاد . يمكنك القبول بهذا العرض أو رفضه .

عليها أن تقبل به ، وكانت لتفعل ذلك بكل تأكيد لولا أنها لم تعد متلهفة للوصول إلى منزل والديها بعد أن علمت أن صونيا وجيريمي سيحضران أيضاً .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بلعت بريقها بغصة : « لا أريد أن أعرض أحداً منا للخطر لمجرد تفادي الانتظار قليلاً » .

قال وهو يسخر من نفسه : « صدقيتي يا ميغ ، ستكونين فى خطر هنا أكثر مما لو قطعت تلك الأميال من الطريق » .

نظرت فى عينيه الزرقارين الثاقبتين ورحت تتساءل : ماذا قال ؟ لم يكن حتمًا يعني ما قاله . . . ؟ بلى ، كان يقصد ذلك .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ردت بهدوء : « هلا نقلت هدايا «سكوت» من سيارتي إلى سيارتك بينما أذهب أنا لأوضب أمتعتنا » .

قال ساخراً وهى تصعد السلم : « كنت أشعر أنك ستفعلين ! » .

حسنًا ، لم تُحسن تدارك الموقف ، هل أحسنت ؟

فهي لم يسبق لها أن لبست قناع التروي والحنكة ، فهي بكل بساطة لم تكن من تلك الطينة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لقد سبق لها أن خرجت مع رجال قبل ولادة «سكوت» ، إلا أنه لا يسعها الإدعاء بأن أحدهم يشبه ولو بمقدار ضئيل «جيد كول» .

كان يفوق كلّ الرجال الذين عرفتهم «ميغ» جرأة وربما خبرة أيضاً .

وهذا لا يعني أنها قد تواعد «جيد كول» ، لكنها أعجبت به ، وتجاوبت مع عناقه ، وشعرت بالسعادة لقربه . وحمدت الله على أن سكوت قاطعهما بعد كل ما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أخبرته به عن عائلتها ، وعن عدم اكتراث والدتها ، وعن عدم تعرف والديها إلى «سكوت» حتى الآن ، وعن أختها التوأم صونيا . لم تود ميغ أن تعرف «جيد» إلى أفراد عاتلتها . لكنها ستضطر إلى ذلك لحظة وصولهم إلى منزل والديها ، فهي تستبعد أن تراه ينعطف بسيارته عائداً أدراجه إلى الكوخ من دون أن تدعوه لاحتساء شراب ساخن .

على أي حال ، لم يكن لديها أيَّ خيار آخر ، ولعل هذًا ثمن زهيد يتوجب عليها دفعه لبلوغ منزل والديها .

إلا أنها ، وبعد مرور نصف ساعة ، لم تعد واثقة من حدوث ذلك وهي تشاهد «جيد» يجاهد ليمنع السيارة من الانزلاق والاصطدام بالأشجار على حافة الطريق وقد تجهم وجهه من شذة التركيز . كانت ميغ تجلس إلى جانبه صامتة وقد عيل صبرها ، وحده

www.riwaya.ga مكتبة رواية

«سكوت» لم يكن معنياً بالخطر المحدق بهم إذ غرق في النوم من شدة التعب نتيجة الجهد الذي بذله صباحاً لصنع رجل الثلج .

لكن ميغ فهيست الآن لما طالت نزعة «جيد» هذا الصباح ، فعلو الثلج على بعض جوانب الطرقات وصل إلى خمسة أقدام . وحدها مهارة «جيد» في القيادة هي التي حفظتهم سالمين . وبعد أن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

انعطف بالسيارة في اتجاه الطريق الرئيسي ، اكتشفت أنها لكثرة ما أطبقت يديها بإحكام أثناء تلك الرحلة ، انغرست أظافرها في كفيها .

تنهدت تنهيدة عبرت بها عن ارتياحها لأنها لن تُرغم على القيام بذلك ثانية . علمًا أن الرجل الذي يجلس إلى جانبها لا يستطيع أن يقول الكلام نفسه إذ سيعود أدراجه بعد ساعتين أو ما يقارب ذلك .

استرخت في المقعد الجلدي بعد أن أصبح بمقدورها الآن رؤية الطريق أمامها وقد تكوم الثلج على جانبيه .

قالت : « هذا أفضل ، أليس كذلك ؟ » .

لا عجب فى أنها تاهت ليلة البارحة .

غمغم «جيد» وقد شحُب وجهه للجهد الذي بذله ليبقى على الطريق الزلقة : «قليلاً».

www.riwaya.ga مكتبة رواية

اعتبرت ميغ الصمت الذي أعقب جوابه مؤشراً على عدم رغبته بالتكلم والتركيز فقط على القيادة .

لن تجادل فى ذلك ، في مطلق الأحوال ليس لديها ما تقوله ناهيك عن أنها كلما اقتربوا من قرية «وينستون» كلما ازداد توترها حدة .

في الحقيقة ، كانت تفضل أن تبقى في لندن لتقضي عيد الميلاد مع سكوت كما اعتادا أن يفعلا في السنوات

السابقة ، كما شعرت أن والدتها لم تكن لتوجه لها الدعوة على الإطلاق ، على غرار السنوات الماضية ، لو لم يقع والدها فريسة المرض في الآونة الأخيرة . تعرض والدها لنوبة قلبية منذ أسبوعين . وكانت نوبة خفيفة بحسب والدتها التي لم تعلمها في الحال بل اكتفت بالاتصال بها نهار الأحد لتوجه إليها الدعوة وتعلمها بمرض أبيها . لم تفهم والدتها . . . لم تفهمها يوماً . لطالما وجِدتها باردة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عاطفياً ولطالما كان والدها الأقرب إليها بالرغم من أنه عمل كموظف حكومي في لندن ما يعني أنها لم تكن تراه فعلياً سوى في عطلة نهاية الأسبوع . وعندما التحقت هي وصونيا بالمدرسة الداخلية في سن الثالثة عشرة لم تعد تراه حتى في أيام العطلة .

وإذا كانت صونيا الابنة المدللة لوالدتها ، فإن ميغ الأبنة المدللة لوالدها . وقد شعرت بحزن مرير لأن والدتها لم تكلف

www.riwaya.ga مكتبة رواية

نفسها عناء إعلامها بمرض والدها قبل ذلك . وقد بررت والدتها تصرفها هذا بقولها : « لم يكن باستطاعتك القيام بأي شيء كما لم أشأ إزعاجك » .

كانت بينهم كبطة صغيرة في قطيع من الإوز ، على حد تعبير «جيد» الليلة الماضية . عليها أن تقر لأنها لطالما تساءلت عما إذا كانت تعيش وسط عائلتها الحقيقية ، فلولا أختها التوأم لارتابت بكل تأكيد في

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الأمر .

قال لها «جيد» بجفاء بعد أن مضى بعض من الوقت : « دخلنا مقاطعة وينستون . عليك أن ترشديني إلى الطريق بدءاً من هنا » .

عاد إحساس ميغ بالتوتر وهي تطلب منه أن ينعطف يميناً خارج المدينة .

وشعرت بانقباض فى معدتها خوفاً مما ينتظرها . يجب أن تمر هذه الزيارة على خير إكراماً «لسكوت» وهي ستبذل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قصارى جهدها من أجل ذلك . لكنها
ليست واثقة من أن أفراد العائلة
الآخرين
سيقومون بأي جهد ، وإلا فستكون
زيارة قصيرة جداً حتمًا .
وأشارت إلى طريق فرعية فسألها متفاجئاً
: « هنا ؟ » .
أكدت له ببرودة : « أجل » .
تعمدت ألا تنظر إليه لأنها تعلم أن لا
مفر له من ملاحظة فخامة المنزل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

والمساحات المحيطة به وهم يقتربون من طريق فرعية أزيلت عنها الثلوج تماماً .

شعرت ومن دون أن تنظر إليه أنه يتأملها متسائلاً كيف يمكن لهذه الأم الوحيدة التى استأجرت سيارة لتقوم هده الزيارة والتي لا تحمل معها سوى حقيبة واحدة تحوي ملابسها وملابس «سكوت» الضرورية أن تنحدر من عائلة يبدو عليها هذا الثراء كله .

ربما كانت لتجد استغرابه مضحكاً لولا التوتر الشديد الذي تشعر به لفكرة لقائهم جميعاً مجدداً .

لقد تبادلت مع صونيا التي تعيش في لندن أيضًا أحاديث تافهة تخلو من أي كلام مفيد ، حتى أنها التقت أختها مرة أو مرتين فيما كان «سكوت» فى الحضانة . حسنًا مرة واحدة ! لكنها لا تستطيع أن تدعي أن اللقاء الذي ساده العييت راق لأي منهما .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كان لكل واحدة منهما نمط حياة مختلف كليًا ، فصديقات صونيا ينتمين إلى طبقة اجتماعية راقية ، وهي تسكن في منزل أشبه بصالة عرض . أما صديقاتها هي فهنّ أمهات شابات أيضًا ، وهي تسكن في شقة مهملة أغلب الأحيان ، ما يعني أنهما لا تتسجمام حتى على الصعيد الإجتماعي .

ها هي تشعر بأن «جيد» يرمقها مرّة أخرى بنظرات حادة يصعب مقاومتها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سألت بحدة : « ماذا ؟ » .

رد وهو لا يقوى على التصديق : « هل هذا هو المكان الذي نشأت فيه ؟ » .

نظرت ميغ من النافذة وقد اقتربوا من المنزل فرأت منزلاً ريفيًا مبنيًا من الحجر يبدو أكبر من المبنى الذى تعيش فيه والذى يألف من ثمانية طوابق .

أكدت له برصانة : «أجل».

وتابعت بانفعال حين لم يتكلم : « والدتي من عائلة وينستون وهذا المكان هو

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ملك لآل وينستون منذ أجبال عدة ،

وقد حملت القرية اسمهم بعد أن شيدوا

هذا المنزل قبل حوالي مئتي سنة » .

عادت تتلعثم في حديثها هي تعلم ذلك

إذ أزعجها صمت «جيد» : « كانت

أمي وحيدة عائلتها فورثت المنزل بعد

وفاة والديها » .

تجهم وجه «جيد» وهو يجول بنظره على

ذلك المكان المعزول : « هل كنتم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تشعرون بالوحدة في هذا المكان النائي جدأ عن بيوت القرية ؟ » .

أكدت له بنبرة عالية : « أجل ، ولولا صونيا لكان مملاً جدًا » .

أدهشتها مجدداً قوة ملاحظة هذا الرجل

.

لقد كشف عن ذكاء متقد الليلة الماضية عندما تحدث عن التوأم ، وهنا هو الآن ، وبدلاً من أن يحسدها على الامتياز الواضح الذي كانت تتمتع به ، راح

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يعلق على مشاعر الوحدة التي قد يوحي بها .

حبست الدموع التي كادت تنهمر بغتةً لتفهمه الموقف : « ألم تكن تشعر بالوحدة في مزرعة والديك ؟ » .

رد بصوت أجش : « هل هذا ممكن بوجود أخوين أصغر سنًا والعديد العديد من أولاد العم ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بدا الأمر رائعاً لميغ التي كانت تأمل أن يحيا سكوت مثل هذه الطفولة لكنها تعلم أن ذلك مستحيل .

كان «جيد» لا يزال عابساً وهو يركن السيارة أمام المنزل : « لا عجب في أنك قررت عدم العودة إلى هنا لتربية سكوت » .

ضحكت ضحكة ساخرة : «صدقني ، لم يكن لدي أي خيار » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بالكاد كانت والدتها تتذكر عيد ميلاد «
سكوت» ، وإن فعلت فهى غالبًا ما
تهديه شيكاً من المال وهو أمر لا يعني
شيئاً لولد فى الثالثة من عمره .
زم «جيده شفتيه : « لا أظن أنني
سأحب والدتك كثيرًا » .
وهي أيضاً لم تكن واثقة من أن والدتها
ستحبه أيضاً .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كانت الكلمة الأخيرة في عائلة هاملتون تعود لشخص واحد فظ ومستبد هو والدتها .

ابتست والحزن يلفها ثم أكدت له متعاطفة معه : « لست مضطراً لأن تطيل البقاء . في الواقع ، إذا أردت ألا تدخل نهائياً فسأتفهم وضعك جيدًا » .

لكن يا للغرابة ! فبعد أن تمنت ألا يلتقي «جيد» أياً من أفراد عائلتها ، ها هي تعارض فكرة ذهابه الان وقد وصلا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كانت تفضل فظاظته على الاستقبال البارد الذي تعلم أنه سيلقاه في الداخل

.

عاد يقول بلهجة قاسية وهو يُطفئ محرّك السيارة : « هل تمزحين ؟ لن أفوت علي هذا اللقاء مهما كلف الأمر ! » .

لم تكن ميغ متأكدة من أنها تثق بنظرة التحدي تلك التي استطاعت أن تلحظها في تينك العينين الزرقاوين الداكنتين ، إلا أنها ممتنة له صدقًا لأنها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لن تضطر لدخول عرين الأسد وحدها

فلم تشأ أن تتساءل عن دوافعه .

استيقظ «سكوت» في تلك اللحظة

ليسأل : « هل هذا هو منزل جدتى

وجدي يا ماما ؟ » .

استدارت لتبتسم له ابتسامة تبعث في

نفسه الطمأنينة : « إنه هو يا عزيزي »

.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

اتسعت مقلتاه وهو يتأملّ ذلك المنزل المهيب ثم قال : « إنه ضخم يا ماما ! »

.

– لن يبدو لك لهذه الضخامة وأنت في الداخل .

ربما كان يجدر بها أن تحضر «سكوت» لهذا اللقاء مع عائلتها ، ولكن كيف تشرح لولد في الثالثة من عمره أن جدّته مستبدة ولا مبالية ، وأن جده لم يبذل جهداً لردعها ، وأن خالته صونيا . . .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ولم تعلم ميغ ما تحدثه به عن خالته صونيا .

اكتفت بأن ترجو أن يمر عليه ما سيرد في حديث الكبار مرور الكرام فلا يؤثر فيه

.

دنت من الباب الأمامي الكبير المصنوع من خشب السنديان بالحماسة نفسها التى يقترب فيها رجل عن منصة الإعدام

.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

راح «جيد» يشجعها ، وقد بدا جلياً أنه لا يشعر بأي خوف وهما يصعدان السلالم .

– ابتسمي يا ميغ . قد لا يحصل ذلك أبدا .

لم يكن لديه أي فكرة عمّا ينتظره في الداخل ثم توجه إليها بالسؤال : « هل تدقين جرس منزل والديك ؟ » .

كشرت في وجهه وهي متأكّدة من أنْ الأجواءِ أقلّ توتراً في مزرعة والديه : « حنًا . . . أجل » .

لم يكن في الحقيقة لديه أي فكرة عمًا ينتظره .

واستطاعت سماع صدى حذاء ذي كعبين عاليين على أرض الردهة الخشبية فشدت بيدها من دون وعي على يد «سكوت» استعداداً لمواجهة والدتها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بدا صوت والدتها جافاً ومتقطعاً : «

صونيا ! لم أتوقع عودتك الآن » .

إلا أنها وبعد أن فتحت الباب على

مصراعية أدركت أنها مخطئة : «

مارغريت ! » .

عبست في وجه ميغ وهي تُخفي استياءها

: « خلت أنك ستتصلين لتعلميني

بساعة وصولك ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إلا أنها نسيت كليّاً ذلك الاتصال الهاتفي الذي وعدتها به في غمرة استعجالها لمغادرة الكوخ .

لم تكن والدتها بحاجة لأيّ إنذار مسبق لِتحَضر نفسها فهي تبدو كعادتها في أبهى حلة ، مع تسريحة شعرها الداكن ، وزينتها الكاملة ، وسترة الكشمير القشدية اللون والتنورة السوداء المفصلة على قياس جسدها النحيل .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

نظرت ميغ إلى «جيد» بارتباك وهي
تومئ برأسها رد على سؤاله : «
مارغريت ؟ » .
ذلك الاسم الذي كرهته منذ طفولتها
فقرّرت وهي في الثامنة من عمرها أن
تُطلق على نفسها اسماً بديلاً هو ميغ ،
وقد رفضت والدتها وجدها استخدامه .
استدارت نحو والدتها تعتذر بارتباك : «
لم يتسنَّ لي الوقت لأقوم بذلك . لم
أعتقد . . . » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تدخل «جيد» بوداعة وقد تقدم ببطء ليعلن عن وجوده : « كان ذلك السهو خطأ مني ، المعذرة سيدة هاملتون » . أجفلت ميغ وقد خطر لها أنه إذا توقع أن تغير بذلك سلوكها فسيخيب أمله حتمًا .عندئذ ، حولت والدتها نظرها ناحية «جيد كول» ، وقد أصبحت عيناها أكثر زُرقة وتعابير وجهها أكثر برودة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يا للهول ! بدا الأمر مروعًا ، أسوء مما تخيلت . ما كان عليها أن تأتي ، وتمنت لو تنشق الأرض وتبتلعها . لكنها ، ورغم ذلك ، قامت لتعريف أحدهما على الآخر :

– « جيد » هذه والدتي ليديا هاملتون . أمي ، أعرفك بـ. . .

عندئذ قاطعها «جيد» بصوته الأجش مُصافحاً يد والدتها الناعمة : « جيرود ، جيرود كول » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ثم أضاف بنبرة ساخرة : « شرف لي أن ألتقي بك ليديا » .

قطبت ميغ عند رؤية التغيير الذي بدا على مُحيا والدتها إذ حل الشك مكان البرودة في عينيها وتلونت عظام وجنتيها البارزة .

بلعت ريقها وهي تتوجه إليه بالكلام : « أنا . . . » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وراحت تنظر إليه بارتياب وكأن ذاكرتها تخونها : « أتقصد الكاتب جيرود كول صاحب كتاب اللغز ؟ » .

– بالطبع لا . . .

تدخل «جيد» بلطف مقاطعاً الإنكار الذي أبدته ميغ : « أشعر بالغرور لأنك سمعت بي يا ليديا » .

شخصت ميغ إليه وهي لا تقوى على التصديق .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

جيرود كول ؟ هل «جيد» هو نفسه جيرود كول ؟

لا بد أن والدتها سمعت باسم جيرود كول ، ولعل العالم الغربي بأسره سمع به . فقد تصدّر كتابه «اللَغز» قائمة المبيعات طوال الأشهر التسعة الأخيرة وثمة فيلم عن قصة الكتاب قيد الإنتاج .

ولكن لا يعقل أن يكون «جيد» هو نفسه جيرود كول . أَيُعقل ذلك ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم يكن يقصد حقاً إطلاع ميغ على الحقيقة كما فعل . مارغريت ؟ هذا الاسم لا يليق بها ولا يشبهها. وهو لم يكن ينوي إخبارها أنه جيرود كول علي الإطلاق لكنه اغتاظ كثيرا من تصرف ليديا هاملتون حيال ابنتها الصغرى ، فسعى إلى إزالة تلك البرودة الناجمة عن اعتدادها بنفسها عن وجهها . وقد وجد في إخبارها حقيقة هويته أفضل سبيل إلى ذلك .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

في الواقع ، لم يسبق له أن كره أحداً من النظرة الأولى ، فعادة ما يتطلب ذلك عشر دقائق أو ما شابه . إلا أن تصرف ليديا هاملتون حيال ميغ وعدم اكتراثها «بسكوت» ، حفيدها ، حركا لديه الرغبة في هز هذه المرأة ، وإخبارها بحقيقة هويته وفى بالغرض .

النظرة الخاطفة التي ألقاها على ميغ جعلته يدرك أنها مندهشة بقدر والدتها ،

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كما أدرك أنها لم تكن سعيدة لهذا التطور في الأحداث الذي جعلها تحدق فيه وكأنها تراه للمرة الأولى .

في الواقع ، هي لم تره من قبل بشخص «جيرود كول» .

ولكن يا لسخرية القدر ! لم تتعرف عليه ميغ عندما وصلت إلى الكوخ ، وبما أن هدف مكوثه في الكوخ أن يبقى بعيداً عن الأضواء لم يشأ أن يُعلن للكل أنه الكاتب «جيرود كول» .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وفيما أمارات الغضب بدأت تلمع في عيني ميغ ، لم يعتقد أنها ستتأثر كثيرًا بهذا التفسير .

أفلت يد ليديا هاملتون فجأة ثم أضاف بنعومة : « مع أنني كنت أفضل لة تعتبرينى فقط صديقًا لميغ » .

بدت ليديا مرتبكة تماماً وقالت : « صديقاً لـ . . أجل ، بالطبع » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ثم أصبح حديثه أكثر رصانة : « ربما تريدين أن تدعينا للدخول يا ليديا ؟ فالطقس أضبح ماطراً هنا في الخارج ».

وأشار بيده إلى الثلج الذي عاد يتساقط ليستقرٌ على رؤوسهم المكشوفة قبل أن يذوب . تراجعت إلى الوراء ليتمكنوا من الدخول : « بالطبع » .

ألقت ميغ نظرة أخرى على «سكوت» وهي مقطبة لتراه يمسك بيدها بإحكام .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وما لبث غضب جيد من ليديا هاملتون أن تحول إلى حقد شديد عليها حين شاهد الصبي الصغير في حال من الذهول .

كيف يمكنها ألا تأبه بطفل طيب كهذا ؟ فهو نفسه لم يستطع أن يقاوم طيبته هذا الصباح حين أصرّ على الخروج لصنع رجل ثلج . بدا «سكوت» تمامًا كأمه ومما لا شك فيه أن ليديا هاملتون سوف

تحب ابنتها الصغرى هذا إذا ما نزعت ذلك القناع البارد .

وربَما لا ، فقد بدل رأيه بعد أن حدق مرة أخرى في وجه تلك المرأة العجوز .

كانت ليديا هاملتون فى أول العقد السادس ، واحدة من أولئك النساء اللواتي يبدين بكامل أناقتهن منذ ساعات الصباح الأولى وحتى آخر الليل . فشعرها مسرح ، ووجهها مزين بمهارة ، وهي تلبس تنورة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وسترة غاية في الأناقة . لم يقدر «جيد»
أن يتخيل أبداً تلك المرأة تفترش الأرض
لتلعب مع ابنتها كما فعلت ميغ مع
«سكوت» .

وبالرغم من أنها استفاقت سريعاً من
صدمتها ، إلا أن الابتسامة المحنكة
عادت لتظهر على شفتيها :

– أرجوك تفضل بالدخول إلى غرفة
الجلوس يا سيد كول لأعرفك بزوجي
دايفيد .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ولمح جيد شفة الصبي الصغير السفلى ترتجف قليلاً ، فسارع بحمله بين ذراعيه ويتجه يه نحو الرواق لرؤية الشجرة المزينة : « تعال يا سكوت ، انظر ، إنها شجرة الميلاد ! » .

تملكته رغبة جامحة في شنق ليديا لعدم اكتراثها بحفيدها ولكنه لا يظن أن ميغ ستكون ممتنة لو قتل والدتها أمام عينيها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ابتهج «سكوت» لرؤية الشجرة المزينة التي يبلغ ارتفاعها تسعة أقدام ، ولمعت عيناه دهشة أمام تلك الألوان والأشكال المُنسقة بمنتهى الدقة .

سُرَّ «جيد» لأنه أبعد «سكوت» عن الحديث الذي دار في الجانب الآخر من الرواق بين المرآتين .

احتدت ليديا وقالت بصوت منخفض :

« كان يجدر بك إعلامي يا مارغريت .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كان موقفي سخيفاً لعدم معرفتي بالرجل

» .

كان «جيد» ليراهن على أن شعور ميغ يتجاوز الإحساس بالسخافة بيد أنه لم يندم على ما فعله منذ قليل ، فهو كان مستعداً لأن يفشي السر مقابل أن يرى غطرسة ليديا هاملتون تتبدد من وجهها

.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أخذت ميغ وقتها قبل أن تُجيب والدتها بتأن كما يبدو : « يفضل «جيد» عدم كشف هويته في معظم الأحيان».

بدت ليديا هاملتون مرتبكة من جديد ، ولم يكن هذا بمالوف :

– حسنًا ، يمكنني تفهم ذلك . لكن ما عسانا نفعل الآن ؟

أجفلت ميغ لسماعها هذا السؤال : « لماذا ؟ لا شيء . لا ينوي «جيد» أن . . . » .

– من كان على الباب يا ليديا ؟ هل هي ميغ ؟

كان «جيد» قد أنزل «سكوت» إلى الأرض فاستدار فور سماعه ذلك الصوت الذكوري وإذا به يرى الغبطة تلّن وجه ميغ الشاحب وتجعلها ترتمي في أحضان الرجل الذي يُفترض أن يكون والدها ، وهو رجل طويل ونحيل ذو عينين خضراوين كعينن ابنته .

بدا التأثر على ميغ وهي تعانق والدها بقوة وهتفت : « بابا ! » .

لاحظ «جيد» برضا أنها لم تعد تتكلف في حديثها كما هو الحال مع ليديا هاملتون . وشعر بالسرور لأن شخصاً واحداً على الأقل في هذه العائلة سر برؤية ميغ . إلا أن هذا الرضى لم يدم طويلاً عندما تذكر أن هذا الرجل أذنب أيضا حين أغفل ابنته وحفيده طيلة السنوات الثلاث والنصف الأخيرة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

راح ينظر إلى ذلك الرجل المسن بعينين ناقدتين . كان دايفيد هاملتون لا يزال رجلاً وسيمًا ، على الرغم من الشحوب البادي على وجهه لمعاناته من المرض مؤخرًا وهو يلبس كنزة وسروالاً يبدوان واسعين كما لو أنه خسر الكثير من وزنه في الآونة الأخيرة .

استنتج جيد أن المعرض أصابه مؤخرًا . لعل هذا هو السبب الذي جعل ليديا تستدعي ابنتها الصغرى . كم من

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الصعب أن يحصل كل من ميغ
و«سكوت» على بعض العاطفة من
ليديا .

ألقى «جيد» نظرة إلى الأسفل إذ راح
«سكوت» يشدُّ رجل سرواله ، فجلس
القرفصاء قرب الصبي الصغير الذي كان
ينظر بحياء إلى الرجل الذي تعانقه والدته
. سأل بصوت ظنه خافتاً إلا أنه دوّى في
أرجاء الرواق : « هل هذا جدي يا
«جيد» ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

جمد دافيد هاملتون في مكانه برهة قبل أن يبعد ميغ عنه بهدوء ويستدير لينظر ناحية الصوت.

دفعته الغريزة إلى وضع يده على كتف «سكوت» ليشعر بالآمان . إهمال ليديا هاملتون لحفيدها كان قاسياً جداً حتى أن «جيد» شعر أنه على وشك أن يضرب أحدهم ، حتى وإن كان رجلاً مريضاً ، إذا ما

أساء هو أيضا إلى الصبى .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قال دايفيد هاملتون برقة وهو يتأمل

ملامح وجه «سكوت» الناعمة ويتقدم

ببطء إلى حيث وقفا : « أجل يا

«سكوت» أنا جدّك . . . يا إلهي ،

تبدو مثل والدتك عندما كانت في عمرك

» .

تنهد من شدة تأثره واغرورقت عيناه

الخضراوان بالدموع وهو ينحني ليصبح

بموازاة الصبي الصغير.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تنفس «سكوت» الصعداء وقال بحماسة : « هل أشبهها ؟ هل هذا صحيح ؟ »

.

أكد له جده بصوت عال : « بالطبع تشبهها . لم لا ترافقني فأريك بعضا من صُورها التي احتفظت بها في مكتبي؟ » . وفتح ذراعيه وكسب ود «جيد» لأنه جعل الصبي الصغير يقترب منه من دون إرغامه على ذلك .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– دايفيد ، أعتقد أنه يجدر بك ألا تجهد نفسك . . .

قاطع دايفيد اعتراض زوجته وهو لا يزال يرنو إلى حفيده : « أنا بألف خير يا ليديا » .

ثم عاد صوته رقيقاً وهو يشجع الصبي على الدنو منه : « سكوت ؟ » .

ألقى «جيد» نظرة على المرأتين الواقفتين معاً تعاينان هذا المشهد . ميغ كانت عيناها تلمعان بدموع الفرح ، فيما لم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تظهر ليديا أَي عاطفة جلية ، على الرغم من أن «جيد» شعر بوجود بعض الاهتمام . لكنه يعتقد أنها مهتمة بزوجها ، ما يعني أنها تملك بعض المزايا الحسنة مخبأة وراء تلك البرودة الظاهرة .

وَسُرَّ «جيد» أن «سكوت» تجاوب مع رقّة جده وشعر بالامان بين ذراعيه فيما استقام دايفيد في وقفته ورح ينظر إلى «جيد» للمرة الأولى وكأنه لاحظ وجوده للتو. نظر الرجل العجو إليه بارتياب ثم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مد يده ليصافحه : « أنت «جيرود كول» ، أليس كذلك ؟ » .

صافح «جيد» يده وقد شعر بصلابة قبضته ثم رد برقّة : « أنا هو . إلا أنني أفضّل أن تدعوني جيد » .

ابتسم الرجل العجوز وقال : « وأنا أُدعى دايفيد . استمتعت بقراءة كتابك كثيراً . لا يسعني الانتظار حتى يصدر الكتاب التالي » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تلاشت الابتسامة عن وجه «جيد»

وقال : « أنا في صدد إنجازه ، شكرًا لك

يا سيدي » .

قال الرجل العجوز بإصرار : «

«دايفيد» لو سمحت » .

ثم أضاف متاسفًا : « تستنى لي الوقت

للقراءة في الأونة الأخيرة » .

اغتاظت ليديا وقالت : « بالله عليك يا

دايفيد ، كيف علمت أن صديق

مارغريت هو جيرود كول ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

رمقها روجها بنظرة فوقية وقال : « عرفته من الصورة التي تظهر على غلاف كتابه » .

ثم صرف النظر عنها بلباقة قبل أن يعاود حديثه مع «جيد» : « أراهن على أنك قادر على قيادة الطائرة التي تقف إلى جانبها ؟ » .

وعلى الفور ، ارتسمت الابتسامة مجدداً على شفتي «جيد» وقال : « أنا قادر »

.

أومأ العجوز رأسه : « حسنًا ، سوف أصطحب هذا الشاب الصغير لأريه تلك الصور الآن » .

وابتسم ابتسامة دافئة لـ«سكوت» الذي ينتظر على أحرَّ من الجمر فيما تدخلت زوجته بسرعة : « سوف آتي معك » .

طمأنها دايفيد بهدوء لكن بنبرة حادة لم تدع أي مجال للمناقشة : « هذا ليس ضرورياً يا ليديا . لِمَ لا تصطحبين ميغ

و«جيد» إلى غرفة الجلوس وتقدمين لهما شراباً ؟ » .

قام برقة ، إنما بحزم ، بتذكير زوجته بأصول الضيافة . وبدا جلياً على ليديا أنها لم تكن سعيدة بهذا الانسجام بين زوجها و«سكوت» لكنها أدركت أنها مُرغمة على الإذعان .

– مارغريت ! لِم لا تصطحبين السيد «جيد» إلى غرفة الجلوس فيما أذهب لأعد بعض الشراب قبل العشاء ؟

لم تنتظر لتسمع الرد بل غادرت بزهو عبر الرواق . تعمد جيد أن يتحاشى النظر إلى ميغ في الدقائق القليلة الأخيرة لأنه شعر وكأنه يتطفل على هذا اللقاء العاطفي مع والدها ولأنه أحسن بثقل التهمة الموجهة إليه عندما نظرت إليه . مما لا شك فيه أن ما حصل في الدقائق القليلة الأخيرة لم يخفف من حدة غضبها منه وقد علم أنها لن تدع الأمر يمر الآن بعد أن أصبحا بمفردهما .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أكد له بريق عينيها وتصلب فمها أنه سيسمع تعليقها على ما حصل .

تنهد «جيد» وقال : « لِمّ لا تسمعيني يا ميغ قبل أن تقولي ما يبدو جليًا أنك تتحرقين لقوله ؟ » .

سارعت إلى اتهامه كأنها بهذا تلغي ما قد يقوله للدفاع عن نفسه : « أنت جيرود كول ؟ » .

* * *

قال مكشرًا : « أجل ، أدرك هذا . لكننى أيضًا «جيد كول» ، وهو من التقيت به البارحة . . . » .

قاطعته بحدة : « هما شخص واحد! » .

– لا ، هذا ليس صحيحًا ، فأنا . . .

وما لبث أن قطع حديثه عندما فُتح الباب الرئيس فجأة لتسبق هبة رياح باردة دخول شخصين .

كانت أمرأة نحيلة ترتدى معطفاً ثميناً طويلاً أبيض وقبعَة مِن الطراز عينه وقد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

توردت وجنتاها من شدة البرد وراحت تضحك بصوت عالٍ لأمر كان شريكها يخبرها إياه .

أما شريكها فرجل طويل القامة ، غزا الشَيبِ شعره ، وفى وجهه الوسيم أنف وفم بديا وكأنهما منحوتان . كان يعرج قليلاً وهو يتقدم ليغلق الباب .

لأبد أنه صهر ميغ جيريمي . ما يعني أن المرأة هي أختها ، صونيا .

ها هي المرأة تخلع قبعتها ، وتُمرر أظافرها المطلية بإتقان بين خصل شعرها القصير.

لكن ابتسامتها ذبلت ، وضافت عيناها الخضراوان حالما استدارت وأدركت أنهما ليس بمفردهما .

ما من أثر للنمش على أنفها أو لأي عيب في أسنانها ، لكن وعلى الرغم من ذلك ، علم «جيد» أنها شقيقة ميغ التوأم ، صونيا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إنهما متشابهتان لكنهما ليستا كذلك في الوقت نفسه، تماما كما حاولت ميغ أن تفهمه .

وذلك الرجل الطويل الأنيق الذي يقف إلى جانبها والذي يمكن أن يكون بسن والدها هو زوجها جيريمي .

التفت جيد إلى ميغ وتقدم منها خطوة عندما لاحظ مدى الشحوب في وجهها . "لم يكن متأكداً من السبب ، فهذه

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شقيقتها التوأم ، لكنه على أي حال رغب في أن يقدم لها الدعم .

لقد ذهب قراره بعدم التورط أدراج الريح . . . فهو غارق في هذه المشكلة حتى عنقه .

5- تناقض غريب

شعرت ميغ وكأن الزمن توقف ، وكأن الأمور تسير ببطء شديد .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

في البداية أتى ذلك اللقاء البارد بوالدتها

ثم بعدها كشف هويّة جيد ، كشف لم

تنته من مناقشته وإن كان يتمنى ألا تفعل

.

إنه جيرود كول بحق السماء !

ما زالت غير قادرة على تصديق الخبر .

أصبح الرجل في السنة الماضية ظاهرة ،

فقد فاقت مبيعات كتابه «اللغز» ، وهو

اسم يناسب هذا الغامض ، كل ما صدر

قبله سواء في الولايات المتحدة أو فى

الدول الأخرى .

كما بيعت حقوق الفيلم لقاء مبلغ كبير

من المال .

قرأت ميغ الصحف لكن لم يتسنّ لها

الوقت لشراء الكتاب الذي راح الجميع

يتحدّث عنه . أمَا الآن وقد التقت

بالمؤلف ، فعليها تصحيح الأمر .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وتلا ذلك اللقاء العاطفي مع والدها الذي بدا مختلفاً ، ونحيلاً وأكبر سنًا مما هو عليه .

لم تستطع أن تميز كيف يبدو مختلفاً ، لكنه مختلف وحسب . قد تكون النوبة القلبية هى السبب ، أو لعله سبب آخر لا تدركه .

وهذا لا يعني أن معاملته لها مختلفة ، بل هو على حاله معها محب ولطيف . وهي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم تكن لتطلب أكثر مما أبداه من اهتمام عند استقباله لسكوت .

ثمّة أمر واحد غريب ، هو توتر غير مُعلن بينه وبين والدتها ، إذ لم يسبق لميغ أن سمعته يخاطب والدتها بمثل تلك النبرة القاسية من قبل .

وما لا شك فيه أن هذا اللقاء غير المتوقع مع شقيقتها ، والذي لم تعلم به حتى ليلة البارحة حين اتصلت بوالدتها ،

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شكل مصدر توتر إضافياً كانت ميغ بغنى عنه .

كانتا مقربتين ، مقربتين جداً من بعضهما البعض لكن الوقت والظروف حالت دون بقاء الوضع على حاله .

بدا أن صوئيا ليست مسرورة بهذا اللقاء الذي يجمعهما هنا حين التقت نظراتهما في مواجهة صامتة . بدا على ملامح صونيا صراع سارعت إلى إخفائه حالما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أدركت أنهما ليستا وحيدتين ، والتفتت

إلى

حيث وقف جيد إلى جانب ميغ فضاقت

عيناها الخضراوان ليس لأنها عرفت

الرجل بل فى تجاوب أنثوى مع رجل

جذاب .

لم تتجرأ ميغ حتى على النظر إلى جيد

لمعرفة رد فعله على رؤية تلك النسخة

عنها والتي تفوقها حنكة وأناقة . وأخيراً

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تكلمت صونيا : « ميغ ، يا عزيزتي ، كم أنا مسرورة برؤيتك هنا » .

ثم عبرت الغرفة وعانقتها بشكل خاطف ثم رمقت جيد بنظرة إعجاب نسائية لا لبس فيها وسألت : « وهذا يكون . . . ؟ » .

قاومت ميغ رغبتها الجامحة في أن تصرف بأسنانها إذ استطاعت بسهولة أن تفسر تلك النظرة ، واكتفت عوض ذلك بتعريفه بإيجاز على صونيا وعلى جيريمي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الذي تقدم ببطء ليوافيهم وهو يجِر قدم اليسرى . عندما علمت صوبيا بهوية جيد راحت ، وعلى خلاف ما قامت به والدتها منذ مدة وجيزة ، تطلق تعليقات عن كتابه وترمق ميغ بنظرات مركزة . لا ريب في أن شقيقتها تتساءل كيف أن ميغ ، من بين كل البشر ، نجحت في لقاء رجل يتمتع بمثل هذه الشهرة والجاذبية .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سآلت صونيا بنبرة باردة : « وأين هو سكوت الصغير؟ أعتقد أنك سميته بهذا الاسم ؟ » .

أخذت ميغ نفساً عميقاً واضطرت لابتلاع الرد القاسي بسبب عودة أمها في تلك اللحظة .

قالت الأم بهدوء بعد أن رأت أن شقيقتها الكبرى وصهرها انضما إليهم : « يسرني أن تصلا قبل هبوب العاصفة » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فقالت صونيا : « نرجو المعذرة فسنصعد ونُعد أنفسنا قبل الغداء ؟ » .

لم تتوجه في حديثها إلى شخص معيّن ثم أمسكت بذراع زوجها وصعدا معًا الدرج

.

سارعت ميغ تقول : « عاد الثلج يتساقط بغزارة » .

تبًا ! كيف سيتمكُن جيد من العودة إلى الكوخ إذا بقي الطقس على حاله ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أجاب والدها الذي عاد وهو لا يزال يحمل سكوت بين ذراعيه : « أسوأ من البارحة . اذهب وأحضر الأمتعة من السيارة يا جيد فيما لا تزال ترتدي معطفك قبل أن تشتدُّ العاصفة » .

– آه ، ولكنه . . .

رد جيد بحزم : « فكرة جيدة يا دايفيد » .

ثم أضاف بنية مُبيتة : « هلاً رافقتني يا ميغ ؟ » .

عبست ميغ في وجهه . فأولاً ، أعلن أنه صِديقِقَها والآن ها هو يدعوها لإحضار حقائبهم من السيارة. لكنه لم يحضر أي حقيبة .

هزّت رأسها بحيرة : « ولكن أليس من الافضل . . . .؟ » .

– لا أستطيع حملها بمفردي .

ثم توجه بالحديث إلى والدها : « أعتقد أنها وضبت من الأمتعة ما يكفي لقضاء شهر » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ازدادت ميغ تجهماً عندما أدلى بهذا التعليق ، لأن جيد يعلم أن هذا ليس صحيحا فهو نفسه علق على قلة أمتعتها . لكنها حملت معها الكثير من الهدايا لسكوت .

لكن ثمة أمور تود أن تقولها لجيد ، لجيرود كول ، على حدى .

يبدو أيضاً أن لديه هو أيضاً ما يقوله لها .

زفر جيد أنفاسه ارتياحًا بعد أن أصبحا في الخارج وقد أغلق وراءهما الباب الرئيسي ، ثم قال مكشراً : « لا عجب في أنكِ لم تكوني على عجلة من أمرك للوصول إلى هنا . يبدو والدك طيبا ولكن في ما يتعلق ببقية أفراد العائلة . . . ».

هز برأسة وتابع : « والدتك أشبه بجبل جليدي بالمقلوب » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وراح يشرح ردًا على نظرة ميغ المليئة بالاستفهام : « يرتفع جبل الجليد عن سطح الماء بنسبة 10% بدلا من أن يكون العكس . لم أكتشف حقيقة شخصية شقيقتك باستثناء أنها تبدو متزوجة من رجل يبلغ عمره ضعف عمرها ، لكنه يبدو طيباً . إذاً لعل نساء عائلتك هن الغريبات فقط في العائلة »

.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

رأحت ميغ تنظر إليه بعدم تصديق وهو يجري هذا الحوار الأحادي الجانب عن عائلتها وقد فقدت كليّاً الشعور بالثلوج التي كانت تعصف وتتراكم حولهما .

– وهل أنا معنية بهذه الشهادة الأخيرة التي شملت بها نساء العائلة؟

إبتسم جيد ابتسامة عريضة من دون أن يشعر بالخجل أو الارتباك : « كلا ، فأنت طبعية جدًا مقارنة بهما » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أجابت والتهكم يقطر من صوتها : « أنت لطيف للغاية » .

اتسعت ابتسامته وأمسك بذراعها وهو يرمقها بنظرة ساخرة : « هيا بنا ، لندخل ونجلس في السيارة بعيداً عن الثلج . فأنا واثق من أن ثمة أمور عديدة تودين قولها لي » .

وافقته الرأي وقالت : «أجل».

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عندئذ ، نزلا معاً الدرج الأمامي ليبلغا السيارة حيث الدفء فيما بقيت الرياح تعصف في الخارج .

عادت تستجوبه بنبرة حادة : « جيرود كول؟ » .

كشر وأجاب : «أجل ، أفضل عادة أن أكتم هذا الأمر » .

أكدت له باشمئزاز وهي لا تزال تشعر بمدى حماقتها لعدم تعرفها إليه : « حسنًا ، لقد نجحت في ذلك معي » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

على أي حال ، لم تكن التقارير التي أعدت من نجاح كتاب «اللغز» تحوي صوراً للمؤلف ، كما أن بعض الصّور التي نشرت له كانت بالأبيض والأسود وغير واضحة ، كما بدا شعر جيد حينها أقصر.

فضلاً عن ذلك ، كان ذلك الكوخ الصغير في وسط الريف الإنكليزي آخر مكان يمكن أن تتوقّع أن تقابل فيه

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الكاتب الأميركي الذي حقق نجاحا بارزاء

جيرود كول .

قالت بسخط كبير: « كان عليك أن

تُعلمني . شغرت وأشعر بالحماقة لعدم

تعرفي إلى هويتك » .

كان الرجل ظاهرة بين الكتاب وقد خرج

هذا الصباح مع ابنها ليصنعا رجلاً من

الثلج .

يا للهول ! بدا ذلك وكأنه حدث منذ

زمن طويل . في الواقع كانت تتمنى في

أعماقها لو أنها ما زالت هناك . وأكد لها جيد : « في الحقيقة لم أكن أنوي إخبارهم ، بل قررت أن أوصلك أنت وسكوت إلى هنا ، ثم أتعرف إلى والديك للحظات قبل أن أغادر ، هذا ما كان مُقررًا إلى أن قابلت والدتك » .

بدا صوته خشنًا عندما لفظ الكلمة الأخيرة .

تجهم رجه ميغ من شدة ارتباكها وسألت : « والدتي ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أوما برأسه وقال : « لم أحب الطريقة التي خاطلتك بها » .

أجابت ميغ باستهجان : «اعتدت ذلك » .

راح يتكلم بصوت بارد : « كما أنها تجاهلت سكوت . حتى لو لم تكن موافقة على زواجك ، فمن السخافة أن تتجاهله وهو في مثل هذا العمر وفي يوم كهذا. لا يحق لها أبدا أن تتجاهله بهذا الطريقة » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كانت قسمات وجهه تعبر عن ازدرائه لها وهو يردف : « قد لا تكون نيتي جديرة بالشتاء ، غير أنني عرفت أن على أن أنزع عن وجهها تلك النظرة المتغطرسة »

.

وقد أنجز ذلك بنجاح فائق ، كما نجح في إذهال ميغ .

ثم تابع بلهجة قاسية : « وما هي مشكلتك مع اسم «مارغريت»؟ من الواضح أنك تفضلين اسم ميغ ، وجميع

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أفراد عائلتك يدعونك ميغ ، فلم لا تدعوك والدتك كذلك ؟ » .

– لا أعلم ربما . . .

قطعت حديثها وراحت تنظر إلى أصابعها واندفع جيد يسأل بشكل لاذع : « ماذا ؟ » .

أجابت بعدم اكتراث : « لعله مألوف وعادي جدًا ، لا أعلم » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم تكن نعلم ، ولم تفهم يوماً لما كان والدها هو الذي يغمرها ويقبلها وليس والدتها .

ولم تكن صونيا أوفر حظاً منها لكن شقيقتها لم تظهر أي انزعاج من ذلك .

فصونيا ووالدتها متشابهتان جداً من هذه الناحية ، فكل واحدة منهما مكتفية بذاتها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عندما كانت ميغ طفلة تمنت لو أنها

مثلهما . لكن عندما أصبحت راشدة

فرحت لأنها مختلفة عنهما .

فلو كانت مثلهما لما تيسر لها أن تكون

أمّا محبة وحنوناً لسكوت كما هي الآن ،

ولما حظيت بذاك العناق من جيدٍ ذلك

الصباح .

وبالرغم مما اكتشفت الآن عن هويته ،

إلا أنه يبقى الملاذ الوحيد في موقف غير

اعتيادي .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

رد بصوت أجش : « أرى ذلك المألوف جميلاً » .

أجفلت ميغ وبدأت نبضات قلبها تتسارع عندما لاحظت مدى قربه منها في السيارة فينا وقعت عيناها أسيرة عينيه الشديدتي الزُرقة .

همس جيد برفق وهي تنظر إليه بحذر : « اعترفي يا ميغ بأنني أنقذتك عندما حولت انتباه والدتك عنك إلى » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هكذا إذاً ! خالت لوهلة أنه اكتشف أنها معجبة به ومتجذبة إليه أكثر مما ينبغي ، ما سيكون مُحرجاً للغاية في ظل هذه الأجواء .

لكنه كان محقًا بشأن إنقاذها فوالدتها صبعة المراس فعلاً رمقنه بنظرات موبخة وقالت له وهي تحرص على ألا تُفشي كلماتها أو حركاتها مدى اهتمامها به :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لست واثقة جدًا من معنى ملا

حظتك : « اعتبريني صديقاً لميغ ،

وحسب » .

قال بوقاحة : « هل كنت تفضلين لو

أخبرت والدتك أنني الرجل الذي

التقيت وسط العاصفة الثلجية ؟ ».

أخذت ميغ نفساً حاداً وهي تقر في

قرارة نفسها أنه مُحَق .

حملقت فيه وقالت : «سيسرني أن

أخذلك مجدداً » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ألقى نظرة إلى الخارج ليرى الثلج يتساقط بغزارة وقال : « في هذا الطقس ؟ يا لك من ناكرة للجميل » .

ومع أنه كان يهز رأسه بحركة استنكار إلا أن عينيه ابتسمتا لها .

ثمة أمر واحد أصبح مؤكداً في تلك اللحظة وهو أن الثلوج تتساقط بغزارة ومن دون انقطاع ما يحول دون عردة جيد إلى الكوخ اليوم .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سألت عابسة : « هل حقّاً جلبت بعض الأمتعة معك ؟ إم أنك ختلقت ذلك وحسب ؟ » .

أجاب والعبوس بادية على وجهه : « جلبت معي حقيبة لقضاء هذه الليلة ، فلم أكن أنوي أن أعود اليوم إلى الكوخ يا ميغ » .

ثم أضاف وقد اتسعت عيناها لتأكيده الأمر : « ثمة فندق في وينستون . قررت أن أحاول الحجز فيه لهذه الليلة » .

لن تدعه يفعل ذلك بعد كل ما قدمه لها ولسكوت . وإذا لم يُمض هذه الليلة في فندق فهذا يعني أن يبقى هنا .

كان قريباً جِدَاً منها والطقس يلفهما بشرنقة الصمت حتى بدا وكأن لا أحد سواهما على وجه الأرض .

استحالت عينا جيد داكنتين وقد أصبح واعياً لما يحيط به .

وبلّلت ميغ شفتيها بعفوية : « لا يمكنني حقاً أن أدعك تقوم بهذا » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ولم تحرك بعدها ساكنا بل راحت تحدّق

فيه بإعجاب وهو يرمقها بنظرة خاطفة

قب أن يُخفض رأسه ويعانقها .

وتوقف الزمن عند اللحظة الحميمة

وسرعان ما بدأت العواطف تتأج في

داخلها لتتجاوب معه بشغف لم تدرك

أنها تملكه .

بدا شعره سميكاً وحريرياً تحت أصابعها ،

فازداد الشغف في داخلها بعد أن

شعرت بحرارة عناقه .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وفجأة ، هبّت رياح بعد أن فتح الباب بجانب ميغ فما كان منها سوى أن ابتعدت عن جيد خجلة واستدارت لترى صهرها جيريمى وقد بدا الإرّعاج على وجهه بعد أن أدرك ما قاطعه لتوه .

قال لهما والابتسامة تعلو شفتّيه وكأنه غير آبه بالثلوج المتساقطة : « طال غيابكما فأرسلتني ليديا لأتحقق ما إذا علق أحدكما في الثلج » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم تلتق ميغ بجيريمي سوى مرتين ، الأولى عندما خرج مع شقيقتها في موعد لأول مرة ، والثانية عندما أخبراها أنهما خطبا وينويان الزواج . وفي كل مرة كانت تجده مُحنناً إليها .

ومع ذلك ، شعرت بالانزعاج من هذا الموقف المُحرج .

رد جيد على الرجل الآخر بنبرة مشككة : « هل ليديا هي من طلب منك ذلك أم دايفيد ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ابتسم جيريمي له ابتسامة حزينة : «

ليديا بالطبع . كاد الشاي يبرد » .

راقبت ميغ النظرات التي راح الرجلان يتبادلانها وهي نظرات لا يفهمها سوى الرجال .

راحت ميغ تتساءل بحيرة كيف تسنى لجيد أن يحقق كل هذا الإنجاز ؟ فقد نجح بسهولة في إسكات والدتها ، وحاز سريعًا إعجاب والدها ، ولم يضعف أمام سحر صونيا وجاذبيتها ، وها هو الآن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يتبادل النظرات مع جيريمي وكأنهما حليفان في قلب المعركة .

قال جيد بصوت جاف : « أرجوك أخبر ليديا أننا سنوافيكم في الحال » .

استدار جيريمي ليخص ميغ بابتسامة دافئة وقال لها بمودة قبل أن يُغلق الباب ويعود إلى المنزل :

– تبدين حقاً في حال جيدة يا ميغ .

بدا لها أن هذا التصريح مرتبط بوجود جيد كول في حياتها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

رمقته بنظرة خاطفة وقالت : « علينا فعلاً أن نتوقف عن القيام بذلك » .

أجاب بعذوبة : « هل علينا ذلك ؟ لماذا ؟ » .

عبست في وجهه وهي ترفع عن وجهها شعرها السميك : « لأننا . . . حسناً . . . غريبان التقيا صدفة وسط عاصفة تلجية » .

قال مستهزئاً وبنبرة حادة : « نادراً ما نجتمع بمفردنا يا ميغ ، ولا أظنّ أننا غريبان بعد الآن » .

لا ، لم يعودا غريبين . هل لا يزالان غريبين ؟

تقبّلت هذا الواقع مصعوقة بعض الشيء وهي تترَجَل من السيارة ليفرغا الأمتعة لكن من السذاجة أن تحمل أي عناق أكثر ما يحتمل فحالما تُجرف الثلوج

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سيعود جيد إلى كوخه أو حتى إلى نيويورك، وقد لا تراه ثانية .

لا تتورطي ، بحق السماء ، يا ميغ ! هذا ما راحت ميغ تردده لنفسها وهي تساعده في حمل الأمتعة إلى الداخل . وراودها شعور بأن إنذارها هذا أتى بعد فوات الأوان .

دق جيد الباب المُفضي إلى غرفة ميغ منتظراً الأجابة ، ولمَّا لم يلق جواباً فتح الباب ودخل واثقاً من أنها في الداخل .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وجدها ممددة على أحد الأسرة ، رافعة إحدى ذراعيها لتحجب بها عينيها . كان سكوت غارقاً في سبات عميق على السرير الآخر وقد بدا جميلاً كالملائكة ، قد وضع أسفل السرير كيساً كبيراً أحمر . دخل جيد

الغرفة بهدوء كي . . . لم يكن يعلم ما هو دافعه ، لكن هذين الاثنين يجذبانه كالمغنطيس . وهو عاجز عن تفسير ذلك أيضا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عبست ميغ وهى لا تزال تحجب عينيها بذراعها : « ما زال الوقت مبكرًا على قدوم بابا نويل » .

قال جيد غاضباً فيما أبعدت ميغ ذراعها ببطء لتنظر إليه : « سحقاً ! لقد أخفتيني . حسبتك نائمة » .

أكدت له بصوت خافت : « لا ، بالطبع لست نائمة » .

وقف جيد بمحاذاة السرير وراح ينظر إليها : « ماذا تفعلين إذاً ؟ » .

تنهدت ووضعت ذراعها بمحاذاة جسمها ثم قالت وهي تغمض عينيها : « أستلقي هنا لأمنع نفسي من الصراخ ، وأنت ماذا تفعل ؟ » .

طرحت سؤالها الأخير مذعورة وهو يتأهب ليتمدد على السرير إلى جانبها .

قال بعد أن استلقى وأغمض عينيه : « مثلك تماما» أمنع نفسي من الصراخ .

كانت فترة ما بعد الظهيرة أغرب فترة عشتها في حياتي . هل أنتم عادة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مهذبون إلى هذه الدرجة مع بعضكم البعض ؟ » .

اعتاد أفراد عائلته على الضجة والصخب فسرعان ما يعلو الصراخ حين يلتقي اثنان منهم .

قطبت ميغ حاجبيها وأجابت : «عادة ، أجل » .

هز رأسه مستهجنًا . ثم تابع وهو لا يقوى على التصديق بعد أن علم أن كل واحد منهم انصرف إلى غرفته الخاصة

لتبديل ملابسه استعداداً للعشاء : «

ومن يُبدل ملابسه للعشاء عندما يقتصر

الأمر على

العائله؟ » .

باستثناء ميغ ، بكل تأكيد . فقد

السحبت منذ أكثر من ساعة بعد أن

احتسى سكوت الشاي في المطبخ ثم

عادت لتُعلن أن الوقت حان كي يستحم

قبل الخلود إلى النوم .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ولما لم تعد ميغ بعد ساعة ، خطر لجيد أنها خلدت إلى النوم بدورها ما شكل فرصة عليه الاستفادة منها ليطمئن عليها .

فتح عيناً واحدة بعد أن استمر صمت ميغ ، وإذا به يجدها قد اتكات على أحد مرفقيها وراحت تنظر إليه . سألها باقتضاب : «ماذا ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هزت رأسها وابتعدت عنه قليلاً ثم قالت له بهدوء : « لا يجدر بك أن تكون هنا » .

نظر إلى سكوت النائم نظرة ثاقبة وقال : « لِمَ لا ؟ فنحن أكثر من رفيقين منسجمين » .

وتابع وهو يستدير لينظر إلى ميغ : « ومع ذلك لم أشعر منذ قليل أن في ذلك مشكلة » .

توردت وجنتا ميغ خجلا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وكانت قد أصرّت على تخصيص غرفتين متلاصقتين لها ولجيد يفصل بينهما باب مشترك وهو الباب الذي دخل منه إلى غرفتها .

أما دايفيد هاملتون فلم تكن فرحته بحفيده موضع شك لأحد بعد أن أمضى الاثنان معظم فترة بعد الظهر على الأرض يلعبان بألعاب سكوت .

التفت جيد إليها يتأملها : « هل رأى والده ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تجهم وجهها وقالت : « من ؟ » .
أجاب سريعاً وهو يُخفض صوته بعد أن تَقلَب سكوت في نومه : « سكوت بالطبع » .
بدت ميغ مصعوقة لإثارته الموضوع لكن جيد برر سؤاله : « أنا أسأل فقط يا ميغ . ليس الأمر بهذه الغرابة » .
أكدت له وهي تنظر إليه : « في هذه الحالة بلى . لماذا يخالجني شعورًا وقد نصبح جميعاً أبطال روايتك

www.riwaya.ga مكتبة رواية

التالية ؟ » .

أجفل جيد ودمدم بصوت أجش : « أتمنى ذلك » .

بدا عليها الارتباك : « ماذا يعني ذلك ؟ » .

نهض مستاءً وقال عابساً : « يعني أنني لست واثقاً من إصدار كتاب آخر . ماذا تظنين أنني كنت أفعل في الكوخ ؟ القراء ، والناشرون ، سواء هنا أو في الولايات المتحدة ، يطالبون بكتاب

www.riwaya.ga مكتبة رواية

جيرود كول التالي . كتاب لم أبدأ بعد بكتابته ولا أعرف إن كنت سأقوم بذلك يومًا » .

كان هذا اعترافاً صريحاً عبر من خلاله وللمرة الأولى عن الشكوك التي راودته طيلة العام المنصرم.

لم يكن «اللغز» كتابه الأول ، بل السابع . لكن أي من الكتب الستة الباقية لم يحظ بالشهرة الواسعة التي نالها «اللغز»

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أو يشكل ضغطاً عليه للإسراع في إصدار عمل آخر كما فعل «اللغز » . يبدو أنه لن يستطيع كتابة كتاب آخر «كاللغز» . عليه أن يكتب موضوعاً مختلفاً كلياً لكن من دون أن يُحبط آمال القراء الذين ينتظرون بشوق رواية جيرود كول التالية .

لكن القول يبقى أسهل من الفعل . فقد تعطلت مخيلته وغابت الأفكار عن رأسه ، ومع ازدياد الوضع سوءاً ترك نيويورك

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وقصد انكلترا آملاً أن يخفف التغيير من وطأة الضغط فقبل العرض الذي قدمه له الناشر بأن يستخدم كوخه في وسط انكلترا ، وعزل نفسه هناك طيلة الشهرين الماضيين .

كان ذلك بلا جدوى .

لم تَجِدِ المحاولات نفعاً ، وراحت خيبته تتعاظم . ولكن ها هو يُدِرك فجأة أنه نجح في تجاوز تلك الخيبة اليوم يعد أن حول تركيزه إلى ميغ وعائلتها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

جلست ميغ تنظر إليه باهتمام : « ولكن ، ألا يمكنك . . . » .

وما لبثت أن صمتت وقد تجهم وجهها إذ دُق باب غرفتها ثم فَتح لتطل صونيا وقد بدا عليها الارتباك قليلاً عندما استدارا لينظر إليها : « آه ، المعذرة ! »

.

ابتسمت ابتسامة صفراوية وراحت تنقل عينيها الخضراوين بين جيد وميغ الجالسة على طرف السرير ، لكن سرعان ما

تداركت الموقف وقالت : « أردت فقط أن أتكلم قليلاً مع ميغ قبل العشاء » . ثم ضحكت ضحكة مًصطنعة ، وأردفت : « لكن يمكنني أن أعود لاحقاً » .

كانت صونيا لأول وهلة تشبه ميغ كثيراً لكنها مختلفة جداً عنها .

كانت ميغ بعيدة كل البعد عن التصنع أو الحنكة لكن حتى تلك الطبقة السميكة من أحمر الشفاه ، وعمليات التجميل التي جعلت صونيا تبدو الأجمل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بينهما ، لم تجعلها أجمل من أختها في نظر جيد .

ما لبث أن قرأ في عينى صونياً المركزتين على شقيقتها أنه لاحظت المقارنة التي قام بها بدا كأنها تقول له إن تفضيل شقيقتها الصغرى الأقل غروراً منها أمر لم تعهده من قبل . ورأى جيد أن تورد خدي ميغ

بسبب الغضب أوحى بالإساءة لميغ .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

توجه جيد إلى حيث وقفت وراح يتحدى صونيا وهو يحيط بذراعه كتفي ميغ الناعمتين . ثم أومأ برأسه وقال لها بلهجة واثقة : « أظن أنها فكرة صائبة . فنحن لا نريد إزعاج سكوت الآن ، أليس كذلك ؟ » .

غاب أي تعبير عن وجه صونيا نحو الطفل النائم ، ثم وافقته الرأي وقالت بهدوء :

– لا ، بالطبع لا نود إزعاج سكوت .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شعر جيد بتوتر ميغ تحت ذراعه وأدرك
في الوقت عينه أن ذاك اللطف الذي
كانت المرأتان تظهرانه حيال بعضهما
البعض بعد الظهر ليس سوى مظاهر
كاذبة .

ما الخطب في نساء هذه العائلة ؟ وبما أنه
لم يكن لديه من الأقارب سوى أخويه
فهو لم يعتد هذا التوتر النسائي ، كما
كان مُقرباً جداً من والدته طيلة حياته ،
كحال أخويه أيضًا . لذا كان التوتر

www.riwaya.ga مكتبة رواية

السائد بين أفراد هذه العائلة أمراً غريباً تماماً بالنسبة إليه .

إلا أنه يعلم أنْ هذا أمرٌ غير طبيعي .

هذا التوتر بين نساء عائلة هاملتون الثلاثة ، والذي كان ليزول لو أقدمت إحداهن على إخبار المرأتين الأخريتين بحقيقة مشاعرها . وذلك الإصرار الذي بقيت عليه الأختان بأن تحدق الواحدة في الأخرى من دون أن تسعى أي منهما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إلى كسر التحدي الصامت الذي ساد بينهما عرز رأية السابق .

أخيراً تكلم جيد برقة إنَما بحزم بعد أن عقد العزم على إخراجهما من المأزق : « إذاً نراك لاحقًا يا صونيا » .

رمقته بنظرة غضبى قبل أن تأخذ نفساً عميقاً لترسم على وجهها مجددًا إبتسامة وكررت ببرودة قبل أن تستدير وتغادر : « لاحقًا » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وابتعدت عنه ميغ ووقفت بمحاذاة النافذة ، مع أنه كان على ثقة تامة بأنها لا ترى ذلك البساط الشديد البياض في الخارج والذي بدا أشبه ببطاقات المعايدة في عيد الميلاد بعد أن تراكمت الثلوج خلال فترة بعد الظهر .

بدت صغيرة جداً وهي واقفة هناك ، بشعرها الأسود الداكن الذي يكاد يصل إلى خصرها . بدت نحيلة في السترة الحمراء والسروال القطني الأسود كما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

رآها صغيرة جداً لتكون والدة سكوت بالرغم من تحملها كافة المسؤوليّات التي تترتب على الأمهات .

قال بصوت بدا خشناً وسط الصمت :

« بالله عليك ماذا يعني هذا كله ؟ » .

يبدو أنه كلما حاول أن يفهم هذه العائلة ، كلما أخفق في مسعاه . لزمت ميغ الصمت لبضع دقائق ، ثم تنهدت ورفعت كتفيها قبل أن تستدير وتواجهه

www.riwaya.ga مكتبة رواية

محاولة أن ترسم ابتسامة لم تتخط حدود شفتيها : « ليس ذلك يالامر المهم » .

شعر جيد بالغضب يستعر داخله وراح يشد قبضتية . لم يكن الأمر مهما إلى حد اغرورقت معه عينا ميغ بالدموع ، تلك العينان الخضراوان الواسعتان فى وجه يُخبئ وراء هدوئه الشاحب فيضا من المشاعر .

صرخ بعد أن فقد القدرة على التحمل :

« باللله عليك لماذا تضعين نفسك في

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هذا الموقف ؟ ولماذا تعرضين سكوت لهذا أيضًا ؟ » .

كان تصرّفه لئيماً إذ أقحم الطفل الذي بدا من الواضح أنها تعشقه فى حديثه لكن جيد نفسه لايمكنه أن يدعى أن سكوت تعرض لأى أذى بعد الظهر من جراء إهمال جدته وخالته له ، فقد أظهر جده اهتماماً كافياً تعويضاً عن الجميع . ولكن المشكلة لا تكمن هنا ، أليس

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كذلك ؟ لن يفيد أحدًا ، ولا سيما سكوت ، أن تُقاسي والدته الأمرين سعياً منها إلى التعامل مع ما يصفه جيد بوضع مستحيل .

وقد لا يساعد أيضًاً أن يلفت نظرها إلى أمور يبدو أن ميغ تعتبرها اعتيادية .

نفض يديه في حركة اشمئزاز : « سئمت هذا كله . إنهم أفراد عائلتك المفككة ، وأنا واثق من أنك تُجيدين التعامل معهم » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

واستدار عائداً أدراجه من الباب المشترك الذي أوصده وراءه . لم يشأ أن تؤول الأمور إلى ما آلت إليه ، فلديه ما يكفي مِنَ المشاكل الخاصة التي ينبغي عليه حلها .

على ميغ هاملتون أن تتعامل مع هذه المشاكل بنفسها .

وكلما توقف الثلج عن التساقط سريعاً وتسنى"له المغادرة كلما كان أفضل .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

6- ليت هذه الليلة تمر

كان جيد مخطئًا . . . مخطًئا جداً !

إذ كانت ميغ تجهل كلياً كيف تتعامل مع تلك التشنجات المبطنة بين أفراد عائلتها . وقد أدركت مع مرور الوقت أن والدتها ووالدها لا يتخاطبان إلا نادراً . لم يسبق لهما أن شكلا مثالاً للثنائي الناجح ، ولطالما كان لوالدتها القرار

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الأخير في المنزل . لكن ثمة تباعد بين والديها لم تفهمه ميغ ، فلم يعد والدها يتقبل بوداعة ما تُمليه عليه والدتها . . . فعلى سبيل المثال اقترحت والدتها مراراً وتكراراً على والدها أن يصعد ليرتاح قليلاً ، لكن والدها تجاهل كلياً اقتراحاتها وآثر اللعب مع سكوت بألعابه .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أما التشنج القائم بينها وبين صونيا فمن الأصعب تحديده ، علماً أن جيد لم يجد صعوبة في ملاحظته وتحليله .

هذا إن لم يكن هو أحد أسبابه .

كانت واثقة من أن هذا يزعج صونيا . فميغ لم تعد فردًا من العائلة وقطعت علاقتها بهم منذ أن أبصر سكوت النور ، وها هي الآن تعود إلى المنزل مجِدداً لقضاء عيد الميلاد ، لا بل قد اصطحبت معها جيرود كول . وواقع أنها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم ولن تكون على علاقة بجيرود كول أمر لن يصدقه أحد منهم لاسيما بعد أن أعلن للعائلة أنه رفيقها . ولعل صونيا ، ولأنها صونيا ، تتساءل عن مدى تورّط ميغ معه وعما أطلعته عليه من أسرار. وكأن صونيا لا تعرفها أبداً إن ظنت أنها ستخاطر بكل ما ناضلت من أجل تحقيقه .

أجفلت ميغ بعد أن سمعت أحدهم يطرق باب غرفتها من جديد وشعرت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بتوتر شديد لأنها تحولت فجأة من فرد
غير مرغوب فيه وسط عائلتها إلى
شخص مقصود من الجميع . كما أنها لم
تكن ترغب في أي مواجهة باردة أخرى
مع والدتها .

انفرجت أساريرها عندما فتحت الباب
ووجدت والدها يقف في الممر مبتسما
وعلى ذراعه قميص وربطة عنق ،
وقدرت أنهما لجيد . فعلى الرغم من أنه
وضب حقيبة لقضاء ليلة كاملة ، إلا أنها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تشك في أن يكون قد احضر معه ملابس مناسلة للعشاء .

قالت له بعد أن ألقت نظرة خاطفة على سكوت لتتاكد من أنه لا يزال نائما : « جيد في الغرفة المجاورة يا يا بابا » .

بقاؤه نائماً معجزة نظراً لتحمّسه الشديد لقدوم بابا نويل ولعدد الزوار إلى غرفته في الدقائق القليلة الأخيرة .

خرجت إلى الرواق لتنضم إلى والدها .

نظرت إليه بقلق وهي تضع يدها على

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ذراعه : « هل استعدت عافيتك حقًا يا بابا ؟ » .

استدار يُطمئنها : « أنا بخير. يقول الأطباء إنها أزمة خفيفة . مجرد تحذير لأغير أسلوب حياتي وأبتعد عن كافة الضغوطات » .

كان والدها يكبر والدتها بثماني سنوات وقد أحيل إلى التقاعد منذ شهور . لذا ، لم تكن ميغ واثقة تماماً مِن مدى قدرته على إحداث تغييرات أخرى .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أكمل بتصميم : « ثمة أمور عديدة في هذه العائلة لست راضياً عنها . هذه هي الأمور التي أنوي تغييرها » .

لم تكن إذًا مخطئة بشأن التغييرات التي لاحظتها في شخصيته .

كانت تعلم أنه من الناحية الجسدية أضعف مما عهدته لكنه بدا أقوى من الناحية العاطفية ، وأقل استعداداً للإذعان لوالدتها كي ينعم بحياة هادئة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هل هي من ضمن تلك الأمور التي تخص العائلة والتي ينوي تغييرها ؟

وسرعان ما أكد لها ظنونها : « أجل يا ميغ ، أنت ابنتي وسكوت حفيدي . وأنا عازم على رؤيتكما أكثر في المستقبل »

.

لم تكن ميغ لتطلب أكثر إن عنى ذلك أن ترى والدها فقط ، فوالدتها أمر مختلف تمامًا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ضغط والدها على يدها متعاطفاً معها :

« ستحل الأمور يا ميغ . أنا أحب

والدتك كثيراً لكنى أحب ابنتى أيضًا ،

والآن أحب حفيدي ، على لَيديَا أن

تعتاد ذلك » .

لم تفهم قصده ، وما فهمت يوماً جفاء

والدها لعائلتها ، خاصة بعد أن

أصبحت هي بدورها أما .

مد والدها يديه ليلامس خدها ، ثم

أضاف بحنان : « لا تأخذي الأمور

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بظاهرها يا صغيرتي . والدتك تحبك كثيرًا ، وكذلك صونيا . ومع مرور الوقت سوف تتعلم أن تحب سكوت أيضا بعد أن تتعرف إليه . من المستحيل ألا يحدث ذلك » .

اعتقدت ميغ أن والدها يبالغ في توقعاته فهي لم تشعر يوما بحنان والدتها .

رفع والدها القميص وربطة العنق : « والآن من الأفضل تسليم هذه الأغراض » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أضاف مداعبًا إياها : « لقد أعجبت به على فكرة » .

أجفلت ميغ وقد انزعجت لعدم معرفته الحقيقة : « جيد ؟ اسمع يا بابا ، إنه من ضمن الأمور التي لا يوحي ظاهرها بما هي عليه في الحقيقة ، هل فهمت ؟ » .

ثم توقفت عن الكلام مذعورة إذ فتح الباب خلفها واستدارت لتجد جيد واقفاً في غرفتها . ابتسم جيد لرؤيتهما معا في الرواق : « أنا آسف تأخر

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الوقت وقد أتيت إلى هنا بحثاً عنك يا دايفيد من أجل هذه الأغراض » .

وأضاف بصوت خشن في ما كان والدها يسلمه القميص وربطة العنق : « شكرًا » .

أخذهما ثم استدار وعاد من حيث أتى .

لعل الوقت ليس مناسبًا الآن لتحاول إقناع والدها بأنّها ليست على علاقة بجيد ، وتخبره أنها التقته بالصدفة ليلة أمس. أمّا بالنسبة لما يحاول جيد أن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يفعله بخروجه من غرفتها ، فلم يكن لديها فكرة .

سألها والدها : « ماذا كنت تقولين ؟ » .

تبسمت ميغ : « هذا غير مهم » . أو غير قابل للتصديق في ظلّ الظروف الراهنة .

أومأ والدها برأسه : « سأذهب وأبدل ملابسي للعشاء أنا أيضاً . لا عليك يا ميغ ، ستجري الأمور على أفضل حال » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وقفت تراقبه وهو يجتاز الرواق مُعجبة بتفاؤله إنما خائفة جداً أن تثبت له الوقائع أنه كان على خطأ .

وبعد أن توارى والدها عن الأنظار ، لم تضيع الوقت في المرور عبر غرفتها بل توجهت مباشرة نحو الباب المجاور واقتحمت الغرفة المتصلة بغرفتها.

وما أن أصبحت داخل الغرفة حتى جمدت في مكانها وتبددت كلمات الغضب لدى رؤيتها جيد واقفاً إلى

www.riwaya.ga مكتبة رواية

جانب السرير وقد لف وسطه بمنشفة .

في الواقع ، وجدت صعوبة في التنفس فكيف بالنطق .

كان صدر جيد وذراعاه بلون وجهه الضارب إلى السمرة ، وكتفاه عريضتين ، وجسده مشدودًا .

لم تستطع ميغ الكلام أو الحراك بعد أن أدركت أنه كان ينبغي عليها أن تدق الباب أولاً فمن المؤكد أنه يبدل ملابسه ليرتدي تلك التي جلبها له والدها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وأمام صمتها المتواصل ، رفع جيد حاجبه الداكن وقال متهكما : « أنا واثق من أنْني لست أول رجل ترينه هكذا في حياتك » .

جل ما فى الأمر أنها لم تتوقع رؤيته شبه عار ، ناهيك عن وسامته الفائقة .

كانت نظراته تسبب لها الإرباك الشديد وهو يلبس كامل ثيابه ، أما الآن . . .

قال مبتسمًا : « آسف لمقاطعتك انت وأبيك منذ قليل حسبك في غرفتك

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وعندما سمعت أصواتاً فى الرواق . . . »

.

وتوقف عن الكلام فيما بقيت تحدق فيه ، فوضع القميص على السرير وتقدم نحوها ببطء ليقف قبالتها ويسألها بصوت أجش : « أنت هادئة جَدَاً يا ميغ . ألا تريدين أن تقولي شيئًا ما دمت هنا ؟ » . شيء من قبيل : عانقني ! ضمني إلى صدرك !

ففى تلك اللحظة لم تخطر لها سوى هذه الكلمات . بيد أنها لم تتفوه بمثل هذا الكلام .

وحولت نظرها عنه . لكن لعلها ليست فكرة جيّدة هي أيضاً لأن نظرائها أصبحت مشدودة إلى السرير وهو سرير مزدوج ، كبير جداً .

– ميغ ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بلعت بريقها بصعوية ثم تنهدت بعمق وهي تحول نظرها إليه واثقة من أن النظر في عينيه أفضل من تأمل جسده .

لكنها كانت مُخطئة .

استحال لون عينى جيد داكناً وهو يركز نظراته عليها .

شعرت بدفء نظراته الذي أذاب شيئاً في أعماقها . ترنحت لتتلقفها ذراعاه اللتان شدتاها إليه .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كان عناقاً حاراً جدًا عبر عن تعطشها

إلى الحب .

بدا ملمسه خشئاً وكادت حرارته تحرقها

بعد أن أشعلت في حناياها ناراً متقدة

أذابتها .

رفع جيد رأسه لينظر إليها بتلهف ويداه

تحتضنان وجهها وقد تغلغلت أصابعه في

شعرها الداكن : « ماذا دهاني ؟ هل من

المُفترض بي أن أنزل وأتناول العشاء مع

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عائلتك في حين انك من أود التهامه ؟ »

.

حاولت مقاومة جيد إلا أنها كانت تريده . وأخيرًا ، ابتعد عنها وتنهد بانفعال ، ثم قال بصوت أجش : « ماذا سأفعل بك ، ميغ هاملتون ؟ » .

لم تقو على الحراك ! إذ كانت تستمتع بقربه ، وبحرارة بشرته .

رددت وهي غارقة في بحر الأحلام : « تفعل بى ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لا أدري إن كنت قد لاحظت أم لا ، لكنني عاجز عن إبعاد يدى عنك .

– لم أطلب منك ذلك .

هز رأسه وهو يشدد قبضته على ذراعيها كمن فقد القدرة على الاحتمال : « أعيش حياة ترحال يا ميغ ولا أعلم البتة أين دياري من أسبوع إلى آخر . لي بيوت في نيويورك وفانكوفر وباريس . أما حياتك أنت فمستقرة هنا ، في إنكلترا ، مع سكوت وعملك . ألم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يلحق بك ما يكفي من الأذى يا ميغ ؟

» .

لا بد أنه يقصد والد سكوت كما أنه يُنذرها بعدم رغبته في استمرار علاقتهما . كانت لتضحك من تحذيره هذا لو لم يسبب لها المأً كبيراً . ماذا كان جيد يخالها ؟ أم وحيدة تفتش عن زرج"لها وعن والد لسكوت ؟ فحديثه عن حياته يوحي بذلك .

وسرعان ما آل شوقها الجامح إلى هذا الرجل إلى غضب لم يقل عنه شدة .

قالت بازدراء وهي تفلت منه وتبتعد عنه وعيناها تلمعان غضبًا : « أنت تخدع نفسك إن ظننت أن هذا يعني لي أكثر مما يعني لك » .

وضحكت ضحكة جافة قبل أن تردف بنبرة قوية : « أنا أحب حياتي كما هي تماماً ، ولا أنوي التورط في أي علاقة جدية إطلاقاً ! » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ميغ . . .

أصرت على متابعة الكلام : « لكن هذا لا يعني أنني أتوقع أن أبقى وحيدة وأنا في السابعة والعشرين من العمر » .

ثم أضافت ساخرة حين كشر : « ماذا دهاك يا جيد ؟ ألا تحب أن تُقلب الأدوار؟ هذا مؤسف . فهذا هو حال الأمور ، وهكذا ستبقى في ما يتعلق بي »

.

بلغت الباب المشترك وهى تمشى بخطى سريعة ، ثم رددت الكلمات التي قالها في الكوخ ذاك الصباح : « إما أن تقبل أو أن ترفض ذلك » .

بدا وكأن ما حدث في الكوخ هذا الصباح يعود إلى الماضي السحيق .

نظر إِليْها جيد بعينين ضيقتين . ثم قال ببطء : « لا أصدقك يا ميغ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هزت كتفيها بعدم اكتراث وقالت بسخرية : « افعل ما يحلو لك فهذا ما أفعله عادة » .

هز برأسه : « ولا أصدق هذا أيضًا . فلو أن ما تدعينه صحيح لما كنت هنا » .

هذا صحيح ، صحيح جداً ، لقد أتت إلى هنا من أجل والدها المريض ، ولأنها كانت واثقة من أنه يود رؤية سكوت .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إنما لو كانت تعلم ، لو توقّعت أن تلتقي جيد كول وهي في طريقها إلى هنا لما أتت حتى من أجل والدها .

لأن جيد فهمها جيداً ، فهى لا تتورّط في علاقات عابرة . لم تفعل ولن تفعل .

إذا ، ما الذي تفعله في غرفة جيد كول؟ عليها أن تخرج من هنا بأسرع وقت ممكن . وأن تبتعد عنه ، وعن الرغية التى تتفجر ما أن تكون على مقربة منه .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– صدق ما يحلو لك يا جيد ، لكن في المستقبل لا تدخل غرفتي من دون دعوة .

أجاب وقد اشتد فكه وبدت في عينيه برودة جليدية : « وماذا لو تلقيت دعوة ؟ » .

ابتسمت ابتسامة خالية من أي فرح : « أرجو أن تتمكن من الرحيل في الغد . أعتقد أنني سأقوى على مقاومة الاغراء إلى حينها » .

وعادت إلى غرفتها وأغلقت الباب
وراءها بحزم إِنما بهدوء .
اغرورقت عيناها بدموع المهانة وهي
تتقدم في الغرفة لتجلس على حافة
السرير مخبئة وجهها بين يديها . لقد
تعمدت فى السنوات الثلاث الماضية أن
تبتعد عن أي رجل يُبدي اهتمامه بها ،
ليس لأنها لا تريد
أن تُحب وتحب ، بل بسبب سكوت .
فالرجل الذي سترضى بأن يدخل حياتها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عليه أن يكون مستعدّا لأن يتقبل سكوت أيضاً ليس لأنه ابنها بل لشخصه . لقد رأت وسمعت قصصاً جمة حيث يتعرض الطفل من علاقة سابقة للأذى أو الرفض في العلاقة الجديدة ، وهي لا تريد هذا لسكوت .

لكنها سمحت لجيد كول بأن يخترق تحصيناتها في اليومين الأخيرين ليقول لها في النهاية إنه لا يريد التورط في علاقة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

جدية ودائمة معها . قد يعتبر تصرفه هذا نزاهة منه ، لكنها نزاهة مؤلمة ، لم تترك لها أي خيار سوى الدفاع عن نفسها .

رفعت رأسها لتنظر إلى ابنها النائم ليتملكها مرة أخرى ذلك الفيض الكبير من المحبة التي تكنها له .

كان بريئاً ، طفلاً ، لا يستحق ما عانته طيَلة السنوات الأخيرة من رفض عائلتها ، ومن أولائك الذين يدعون أنهم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أصدقاؤها ، ومن الرجال على شاكلة جيد كول أيضًا ، ممن لا يريدون أيّ تعقيدات تنغص حياتهم .

راح جيد يؤنب نفسه باشمئزاز وهو ينظر إلى الباب الذي أغلقته ميغ لتوها في وجهه .

لكنه لم يكذب حين قال لها إنه عاجز عن إبعاد يديه عنها وإنه يستغل أي فرصة سانحة ليحضنها ويعانقها كلما اجتمعا على انفراد .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ما.من شك في أنه يريدها وفي أن قربها يفقده السيطرة على نفسه ، إلا أنه يريد في الوقت عينه حمايتها وإبقاءها بمنأى عن أي أذى . حتى وإن أتى منه على ما يبدو .

تمنى لو تصدق تمنياتها ويرحل غداً . كان بحاجة إلى الهروب بعيداً عن ميغ قبل أن تفقده صوابه .

إلا أن البقاء بعيداً عن ميغ ليس بالأمر السهل وهو يقيم حالياً في منزل والديها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

. وسرعان ما رضي بالواقع عندما وجد

نفسه جالسًا بقربها عل طاولة العشاء .

كان عليه أن يتوقّع ذلك ، بالطبع .

كانوا ستة أشخاص يجلسون حول

الطاولة المستديرة . فجلس والدها إلى

جانبها من جهة وجيد من الجهة الأخرى

وكأنهما بذلك يسهران على حمايتها .

لكن لم يبد على ميغ أنها بحاجة إلى حماية

هذا المساء .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم ير جيد ميغ خلال فترة تعارفهما القصيرة سوى وهي ترتدي كنزة سميكة وسروالاً قطنيًا ، إلا أنها حملت معها في تلك الحقيبة الصغيرة فستاناً أسود قصيراً بدا مثيراً على ميغ .

أم أنها ميغ هي من جعلت الفستان يبدو مثيراً ؟

على أي حال ، وجد نفسه عاجزاً عن الكلام حين دخلت إلى غرفة الجلوس قبل العشاء ، وقد كحلت عينيها بلون

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أسود قاتم ولونت شفتيها بأحمر شفاه

زادها إثارة .

وكأن جيد كانت تنقصه تلك الإثارة لئلا يرفع عينيه عنها. بدت ميغ امرأة أخرى في ذلك الفستان الذي أبرز صدرها الناعم وساقيها الممشوقتين وكاحليها الناعمين . كانت تنتعل حذاء أسود عالي الكعبين ، وقد تركت شعرها الأملس الحريري مسترسلاً على ظهرها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لعل جيد لم يُحضر معه لباساً يليق بوليمة العشاء ، غير أن ميغ حملت معها ما يليق بهذه المناسبة ، بكل تأكيد .

بالكاد تمكّن من أن يشيح نظره عنها وهي تتحدث إلى والدهًا وجيريمي في غرفة الجلوس وإذا به يجد نفسه جالسا بالقرب منها على طاولة العشاء ، وقد فاح منها عطر أخاذ دغدغ حواسه مع كل حركة كانت تقوم بها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هذا مؤسف يا كول ، مؤسف جداً ،
شعر وكأنه كان أغر مفتون بمعلمته ، مع
فارق بسيط أنه يرغب في تعليمها كل ما
يعرفه .
قاطع صوت دايفيد هاملتون المرح
أفكاره التي بلغت حد الهوس : « هل
تريد ملحا يا جيد ؟ » .
وكأن الرجل الآخر قرأ الأفكار التي
استحوذت عليه .

لعله قرأها ، هذا ما خطر لجيد وهو يأخذ الملح من يده. كانت عيناه الخضراوان تلمعان بضحكة كعينى ابنته الفاتنة .

كان عشاء متكلفاً للغاية . عبس جيد وهو يتأمل ما يراه من حوله . حوار مهذب ، طاولة منسقة بشكل رسمي مع كؤوس من الكريستال وأطباق فضية ، وما من شيء في الغرفة يوحي بعيد الميلاد سوى الأزهار المنسقة الموضوعة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وسط الطاولة ، علما أن المرأتين الأخريين كانتا متأنقتين مثل ميغ . فليديا ترتدي الأسود أيضاً وصونيا الأخضر الزمردي ، كما ارتدي دايفيد وجيريمي لباسًا رسميًا أيضًا .

كان هذا نقيض الأجواء السائدة في منزل أهله في مونتانا هذا المساء ، حيث يحتشد الجميع في المطبخ يتحدثون ويضحكون ، فيما تُشرف والدته على إعداد الديك الرومي والمقبلات . لعل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أخويه وأباه بدلا ملابس العمل بأخرى نظيفة وكذلك فعلن نساء العائلة .

وأدرك جيد أنه اشتاق إليهم ، اشتاق إلى الصراخ ، والضحك ، والمشاكسات ، وحتى إلى الشجارات التي تحدث أحيانا .

– ألم يكن طبق لحم الغزال على ذوقك يا جيد ؟

ركز نظره بصعوبة على صونيا التي جلست إلى يمينه تتلألأ بفستان أخضر يتلاءم مع لون عينيها ، تينك العينين

www.riwaya.ga مكتبة رواية

اللتين لاحظ أنهما تغازلانه . لحم الغزال

؟ نظر إلى الطبق الموضوع أمامه . متى

حصل هذا كله ؟ هل أكل الحساء ؟

بالتأكيد لا يتذكّر أنه قام بذلك ؟

أبدأت تفقد صوابك يا كول ؟ راح يوبخ

نفسه بقسوة . بدات تفقد صوابك

بالكامل ! ولكن لحم غزال ؟ ما هذا بحق

السماء ؟ من يأكل لحم الغزال ليلة عيد

الميلاد ؟ من الواضح أنهم آل هاملتون .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم يكف عن التساؤل عما يقدمونه غداً على مأدبة الغداء . طاووسًا ، ربما . وربما لا .

أجاب بعد أن أيقن أنها لا تزال تنتظر جواباً : « لحم الغزال جيّد ، شكرًا يا صونيا » .

قد يعود إلى منزله ليحتفل برأس السنة . لقد قصد انكلترا هرباً من الاتصالات التي تلاحقه في نيويورك ، والآن يا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لسخرية القدر. يحتاج إلى الهروب من انكلترا ايضًا ، وسريعًا .

حان دور جيريمي الآن لمخاطبته : « هل سيطول مكوثك في اتكلترا يا جيد ؟ » .

بدا وكأن جزءا من أفكارة ارتسم على وجهه : « لست متأكدًا » .

ومع أنه سمع جوابه إلا أنه راح يتساءل لما كان غامضاً هكذا . من الأفضل له أن يغادر انكلترا ويعود إلى منزله ، إلى جذوره ، بعيداً عن إغراءات ميغ .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تابعت صونيا الحوار والحيرة تكاد تقفز من عينيها الخضراوين : « كيف تم لقاؤك بميغ ؟ » .

وأضافت وهي تلقي نظرة جانبية على شقيقتها : « اعتقدت أن ميغ تقضي وقتها كله في العمل وتربية سكوت » .

كلامها أثار حفيظة جيد الذي قال وهو ينظر في عيني صونيا الباردتين : « ليس كله ، على ما يبدو » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مطت شفتيها وأصرّت على سؤالها : « لكن كيف تم لقاؤكما ؟ » .

شعر جيد بتوتر ميغ إلى جانبه فما كان منه إلا أن مد يده ووضعها فوق يدها التي تفضح توترها ، وأجاب صونيا باستخفاف : « صديق مشترك » .

بدت صونيا مدهوشة : « حقًا ؟ » .

فرد بصوت خشن : « أجل . قصدت ميغ كوخ صديق لي كنت أقوم بزيارته .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ومنذ ذلك الحين بتنا غير قادرين على الانفصال » .

لقد تلاعب بالحقيقة قليلاً مع أن القسم الأخير من كلامه صحيح فهو وميغ لم ينفصلا سوى نادراً منذ أن التقيا البارحة .

هتفت صونيا : « كم هذا رومنسي » .

– جدًا .

وتعمد جيد أن يرفع يد ميغ لتلامس شفتاه مفاصل أصابعها فيما حاولت

التملص من هذه المداعبة . ثم أضاف : « وسكوت طفل وديع أيضاً » .

تبدّد الجفاء من نظرة صوئيا لتحل محله البرودة : « أفترض أنه كذلك ، كسائر الأطفال » .

ظل جيد يشد على أصابع ميغ مستمتعاً بملمس يدها الناعمة ، وسأل : « ألا تحبين الأطفال ؟ » .

هزّت صونيا كتفيها العاريتين قبل أن تستدير وتبتسم لزوجها : « لا أكرههم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

. مع أنني أقر يسعادتي لأن جيرمي رُزْق بأطفال من زواجه الأوّل فلا يهمه أن يرزق بأطفال آخرين » .

قطعت ليديا هاملتون بحزم حديثاً بدا لها غير مناسب للعشاء : « دايفيد ، أترغب في المزيد ؟ » .

وافقها جيد الرأي بأن الحديث غير مناسب فيما بقيت ميغ صامتة وقد سكنت أخيراً من إبعاد يدها التى كانت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ترتجف بين يديه . قد لا يكون مناسباً لكنه مثير للاهتمام .

إحدى التوأمين مستقرّة في مهنة ناجحة وزواج مناسب ، ويبدو أنها لا تريد أولاداً يغيرون نمط حياتها ، بينما الأخرى وحيدة وغير ميسورة الحال على الإطلاق , كان بإمكان الأخيرة أن تتخلص من طفل تعمل على تربيته وحدها إنما بدت مستعدة لتقديم أى تضحية من أجل الحفاظ عليه .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كان يعلم من التي حازت إعجابه.

تبًا !

قال دايفيد وقد رفع الزجاجة فوق كأس جيد التي أوشكت أن تفرغ : « مزيد من العصير يا جيد ؟ » .

أجابه جيد : « لِمَ لا ؟ » .

وراح تتمنى أن تمرٌ عليه هذه الليلة الطويلة بأسرع ما يمكن ، إذ شعر بأَنَ النوم سيجافيه .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لكنه لن يكون الوحيد الذي يعاني من الأرق ، فالأطفال في شتى أنحاء العالم لن يناموا منتظرين قدوم بابا نويل .

أما الفارق فهو أن أرقه لا علاقة له برجل سمين في ثوب أحمر ، بل له علاقة بامرأة فاتنة خضراء العينين تُدعى ميغ هاملتون . كان مستعدًا لأن يقضي وقته في الصلاة على نيّة ذوبان الثلوج خلال الليل .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

7– وقع في الحب

لم يسبق أن سُرت ميغ بانقضاء أمسية كما كانت هذا المساء .

كان كل شيء رهيبأ ، بدءاً بالمشهد المحرج في غرفة جيد ، مرورًا بالعشاء المربك والحديث الذي يماثله إرباكًا بعد أن انتقلوا إلى غرفة الجلوس ، وصولاً إلى حرص ميغ على تجنب النظر إلى جيد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بعد أن قبل يدها بتلك الطريقة أمام العائلة كلها .

والله يعلم ماذا استخلص من هذا المساء !

ربما أدرك أن عليه ألا يتجنب عائلته التي تُحدث صخباً شديداً ، فهذه الليلة كانت كافية لتعيده إلى كنف عائلته .

هل لطالما كانت عائلتها هكذا ؟ لا تعتقد ذلك . كانت الأجواء مشحونة بسبب الأمور التي لم تعلن .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ولكن إن حالفها الحظ ، لم يبق أمامها سوى يوم وَاحدًا بعد قبل أن تغادر هي وسكوت ، دونما عودة إلى هنا . لا بد من سبيل كي تجمع سكوت مع والدها من دون أن تسبب لهما أي حرج . عليها أن تجد سبيلاً إلى ذلك . يبقى عليها الآن أن تلعب دوراً آخر ، وهو دور بابا نويل لابنها النائم . إلا أنها وجدت في ذلك صعوبة أكبر مما توقعت ، إذ يبدو أنهم قرروا عندما أدخلوا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الحقائب قبل قليل أن يُخبئوا الهدايا في غرفة جيد

إلى وقت لاحق من هذه الليلة .

تركته في الأسفل يتحدث إلى والدها ، فربما يمكنها أن تتسلل وتحضرها . قد يكون الأمر مُحرجاً إذا ما عاد وهي تقوم بذلك . لكن لو أسرعت . . . كان أمرا سخيفًا .

إنها امرأة في السابعة والعشرين من عمرها ، تمارس مهنة مسؤولة ولديها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

صبيَ صغيره وهي لن تتسلّل إلى أي مكان في منزل عائلتها ، لا سيما بعد تلك الإهانة قبل قليل عندما أنذرها جِيد بأسلوب فظ ألا تتوقع منه الحب وإلى الأبد . ستذهب حيث تشاء ، أما إن لم يُعجب ذلك جيد فهذا أفضل . لكن وقبل أن تقوم بأيَ حركة باتجاه الباب المشترك فتح باب غرفتها بغتة لتدحل صونيا وتغلق الباب وراءها بهدوء . راحت تجول بنظرها داخل الغرفة ثم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

التفتت إلى ميغ بوجه شاحب وسألتها من دون مقدمات : « ماذا أخبرت جيد ؟ » .

وأضافت سريعاً حين رأت أختها تنظر نحو الباب المتشرك : « لا تقلقي ! تركت جيد مع والدي في الأسفل » .

كان جمال صونيا أخاذاً بالرغم من شحوبها الحالي الذي أضفى عليها رقة .

علمت ميغ أن هذا المظهر مُخادع لأنّ صونيا قاسية ولا تُبالي براحة أحد سوى

www.riwaya.ga مكتبة رواية

نفسها . وقفت تنظر إلى شقيقتها بهدوء ثم راحت تؤكد لها بنُبل وكرامة : « لم أخبر جيد شيئًا ولن أفعل . . . سواء له أو لسواه » .

وأضافت بشيء من الازدراء : « هذا ما تريدينه أليس كذلك » .

ازدادت شقيقتها شحوباً : « تعتقدين أنني لا أبالي ، أليس كذلك ؟ » .

قاطعتها ميغ عمداً : « أعلم أنك لا تُبالين . ومن يعرفك أفضل مني ! » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هزّت صونيا رأسها وراحت تذرع الغرفة قبل أن تقول أخيراً بانفعال : « ماذا عساي أفعل إذا كنت مختلفة عنك ؟ لِمّ لا تفهمين ذلك ؟ » .

ردّت ببرودة من دون أن تظهر اضطرابها الداخلي : « لكنني أفهم ذلك يا صونيا » .

لم يسبق أن تحادثت ميغ وصونيا كما تفعلان الآن ، ولن يتكرر ذلك .

تنهدت ميغ وقالت : « لديك ما أردته

www.riwaya.ga مكتبة رواية

، مهنتك وزواجك الناجحان . لسوء الحظ أننا التقينا بهذه الطريقة ، لكنني أؤكد لك أنه عندما نغادر هذا المنزل ونفترق ، لن آبالي إذا لم أرَكِ ثانية » .

في الوقع إنها تفضل ذلك .

جمدت صونيا مكانها وبدت على وجهها انفعالات لا يُمكن تفسيرها فيما اغرورقت عيناها بالدموع ، وقالت وهي تكاد تختنق : « اشتقت إليك يا ميغ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تنهدّت ميغ وشعرت بالألم لما سمعته من اعتراف غير مُتوقع ، فهي أيضاً اشتاقت إلى شقيقتها التوأم . إنهما مختلفتان ، ولطالما كانتا كذلك . صونيا المُغامرة وميغ الهادئة التي تتبعها في أحلامها . أجل ، كانتا مختلفتين . لكنهما كانتا على وفاق تام في طفولتهما ، وحتى بداية سن الرشد .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كان ثمة رابط خفي بينهما ، وهذا الرابط هو الذي سبب ابتعادهما عن بعضهما البعض الآن .

هزت ميغ كتفيها : « حددت خياراتك يا صونيا » .

صححت لها شقيقتها كلامها : « حددت خيارا واحدًا » .

وعادت تؤكد برقة : « وما زلت غير نادمة عليه » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ثم أردفت تسأل بنبرة التحدي : « هل ندمت أنت ؟ » .

ردت ميغ دونما تردد : « على الإطلاق » .

– إذاً لماذا . . . ؟

وغمغمت مضيفة وهي تنظر إليها بتوسل : « هلا عدنا صديقتين من جديد يا ميغ ؟ شكل مرض أبي صدمة لي جعلتني أدرك أن الحياة قصيرة جداً يا ميغ » .

لم يكن هذا ما توقعته من الحديث الذي أرادت صونيا إجراءه معها .

وتنهدت صونيا بانفعال وقالت بحماس :

« أعلم أن ما قمت به خطأ . أعلم أنني أسأت إلى الكثيرين وأسأت إليك ، لكنني لم أقصد ذلك يا مَيغ . لقد حصل ما حصل ، واليوم هو زمن الميلاد يا ميغ ، وإن كان ثمة زمِن للمسامحة ، فهو اليوم بكل تأكيد » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم يكن هذا ما توقعته ، فلم تعلم ماذا تقول أو تفعل .

أخذت ميغ نفساً عميقاً فيما بقيت صونيا تنظر إليها بتوسل ، ثم اعترفت بهدوء : « سامحتك منذ زمن بعيد يا صونيا أظن أنك أنت ، وليس أنا ، من يحتاج إلى مسامحة نفس » .

أغمضت صونيا عينيها وسالت دمعة وحيدة على خدها الشاحب : « حاولت

مراراً . تمرّ أحياناً أيام لا أتذكر فيها ماذا فعلت » .

ونظرت إلى ميغ وتابعت : « لكنني أعلم أني لو وضعت أمام تلك الخيارات"عينها ، لاخترت مجددًا ما قمت باختياره فى السابق » .

بالكاد تمكنت ميغ من أن تبتلع بريقها : « لعل القبول ضرب من ضرّوب المسامحة » .

– أريد أن أكون شقيقتك مجدداً يا ميغ

. وأريد قبل أي شيء آخر . . .

ونظرت إلى أختها بثبات : « أن أصبح

خالة سكوت » .

قطبت ميغ وردت بحذر : « لم أنكر يوماً

أنك شقيقتي يا صونيا . أما بالنسبة إلى

سكوت . . . » .

صمتت لحظة ثم أردفت : « فأنت خالته

» .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ابتسمت شقيقتها ابتسامة خجولة : « إذاً هل ستحاولين يا ميغ ؟ » .

كررت السؤال برقة : « هل ستحاولين ؟ من أجلي وليس من أجلك » .

شعرت ميغ بالاضطراب وعدم الثقة .

كان ثمة تباين بينها وبين شقيقتها التوأم منذ زمن بعيد ما جعلها اليوم غير واثقة من قدرتها على تقبلها في الحياة التي رسمتها لها ولسكوت حيث لا مكان لأي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

علاقة جديدة بصونيا غير تلك التى عهدتها في الماضي .

حدقت فى شقيقتها وسألتها : « هل أنت سعيدة يا صونيا ؟ هل أنت سعيدة مع جيريمي ؟ » .

أجابت صونيا دونما تردد : «أجل» .

ثم انبرت تشرح بكآبة : « أعلم أن الكل ينظر إلينا فيرى فينا الربيع والخريف .

وهم يظنون أنني تزوجته طمعًا بأمواله ومركزه الاجتماعى ، وأنه تزوجني ليتمتع

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بشابة دلوعة وجميلة ، لكنهم مخطئون يا ميغ »

وتبسمت وتابعت : « أحب جيريمي كثيراً وهو يحبني ، ونحن نعيش حياة سعيدة معًا » .

أومأت ميغ برأسها : « إذن ، هذا هو المهم ، أليس . . . . ؟ »

وتوقفت عن الكلام وقد اتسعت عيناها بعد أن دخل جيد من الغرفة الملاصقة .

ألم تطلب منه قرع الباب عندما يريد الدخول ثانية إلى هنا ؟

رفع حاجبيه الداكنين وهو ينظر إلى المرأتين ، ولوى فمه ثم ضحك ضحكة بابا نويل قبل أن ينظر إلى حقيبة الهدايا التي وضعها على إحدى كتفيه .

بقيت ميغ وصونيا ينظران إليه لبضع ثوان ثم نظرت كل واحدة منهما إلى الأخرى قبل أن تبدأ بالضحك . وأخيرًا ، تمكنت صونيا من أن تتمالك نفسها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ومازحته قائلة : « حسنًا ، أعتقد أنني أعلم ماذا ستجدين في جوربكِ هذا العام يا ميغ » .

وتحرّكت برشاقة فراشة خضراء متألقة ، ودنت من جيد ثم قبلته مضيفة « ميلاد مجيد يا جيد » .

رات ميغ أنها أطالت القبلة أكثر مما هو ضروري . كانت تعلم أن صونيا تحب الأغوا ، وأنه أمر سهل بالسبة إليها كالتنفس ، مع ذلك لم تتمكن من منع

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سهام الغيرة التي أصابتها على أثر تلك القبلة البريئة .

ثم انتقلت صونيا الآن إلى ميغ تعانقها وتقبلها : « ميلاد مجيد يا ميغ » .

ثم همست بصوت لم يسمعه أحد سوى ميغ : « أنا سعيدة حقا من أجلك يا ميغ » .

وتابعت بصوت عال : « أراكما في الصباح » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وغادرت تاركة ميغ وجيد وحيدين في غرفة النوم ومخلفة وراءها نسمة من عطرها .

لم تكن ميغ سعيدة بوجوده هنا بعد ذلك الحديث الذي دار بينهما قبل العشاء . نظرت إليه بحذر وهو يرفع كيس الهدايا ويضعه على السجادة . راح يشرح لها بتكشيرة : « سمعتُ أصواتاً في الداخل ، وبعد أن رأيت ردة فعلك قبل قليل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عندما اقترحت صونيا أن تعود لاحقًا ،
ظننت أنك تحتاجين إلى من ينقذك » .

جيد كول المنقذ !
ها هو يلعب هذا الدور مرّة أخرى .
لكنها هذه المرة لم تكن تحتاج إلى من يُنقذها .
كانت لا تزال متأثرة بحديثها مع صونيا ، فهذا آخر ما توقّعته . إن ضحكتهما

المشتركة عندما حاول جيد أن يلعب دور

بابا نويل كانت أشبه بما اعتاداته في

الماضي ، فلربما ، ربما فقط ، يمكنهما أن

يشفيا

هذا الجرح .

– يبدو أنني أسأت التقدير . . .

اعتبر جيد صمتها توبيخاً له فأردف : «

لكنك تحتاجين هذه الهدايا على أي حال

، صحيح ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أجل ، كانت تحتاج إليها ، ولا داعي بعد الآن لأن تتسلل إلى غرفته لاحضارها .

لم يعد جيد يحتمل فقال بحدة : « بالله عليك انطقي يا امرأة! » .

رمقته بنظرة هادئة وقالت : « شكراً ، يمكنني تولي الأمر من هنا » .

– أحقًا ؟ بالكاد وجهت إلى كلمة واحدة طيلة المساء والآن تطردينني كعامل أجير .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عبست وقالت : « العامل الوحيد الذي عرفته في حياتي هو السيدة سايكس ، الطباخة . وبما أننا قضينا أنا وسكوت ساعة ممتعة معها في المطبخ منذ قليل ، فلن أقبل اتهامك . إنها كفرد من العائلة » .

قاطعها بحدة : « لكنني لست كذلك ، على ما يبدو ».

هزت ميغ رأسها غاضبة : « ظننت أنك تريد وضع مسافة بيننا؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تجهم وجهه أكثر من أي وقت مضى ثم راح يتهمها : « أنت تفعلين هذا عن عمد ، اليس كذلك ؟ لأدفع ثمن صراحتي الفظة قبل قليل ؟ » .

احمرت وجنتاها لدى تذكرها ما جرى منذ قليل : « أعتقد أنك متعب وبحاجة للنوم » .

رد بغضب شديد : « نعم ، بالطبع . وتظنين أني سأنام قرير العين وأنت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بالكاد أدركت أنني أجلس قربك على العشاء ؟ » .

– لم أدرك أنني فعلت شيئا .

– أنت تُفقدينى صوابى ، هذا ما تفعلينه .

أمسك بيديها وهِزها برفق : « تبدين رائعة في هذا الفستان » .

ثم راح يتأملها بنظراته الحارقة كمشاعره :

«لا أعلم كيف تمالكت نفسي وتمكنت من إبعاد يدي عنك خلال العشاء » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم تفهم هذا الرجل . فمنذ دقيقة كان يُبعدها عنه محدثًا إياها عن حياة الترحال التي يعيشها ، ومن ثم يُخبرها عن مدى رغبته فيها . لكن لعله لا يفهم نفسه أيضًا .

هزت رأسها : « الوقت متأخر يا جيد . أنا واثقة من أن الأمور ستبدو مختلفة في الصباح » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أبعد يديه عن ذراعَيها وقال لها بصراحة : « إذا ذابت الثلوج فسوف أرحل غداً كيف ستشرحين ذلك لعائلتك ؟

لِمَ كان ذلك من مسؤوليتها ؟ فهو من أوحى لعائلتها أنهما ثنائي ، وليس هي .

قالت بنبرة حازمة : « أنا واثقة من أنك ستفكّر في عذر تقدمه لهم في الغد .

والآن هلا انصرفت ؟ » .

وأخفضت صوتها إذ راح سكوت يتقلب في سريره ، وهذا ليس مستغرباً بعد كل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تَلك الأحاديث التى كان شاهداً عليها وهو نائم .

كان نوم سكوت ثقيلاً ولا شيء يزعجه بعد أن يخلد إلى النوم ، لكن زائريها كانوا كُثراً هذا المساء . كما أنها تحتاج إلى بعض الوقت ليتسنى لها التفكير . لا ، ليس في جيد ، فإن كل التفكير الذي في العالم لن يجيب عن أسئلتها أو يُبِدل حقيقة أنه متشوق لأن يرحل من هنا .

كانت تحتاج إلى التفكير فى حديث

www.riwaya.ga مكتبة رواية

صونيا وتحليله وتحديد الخطوات التي عليها القيام بها في هذا الشأن . كان حدسها يقول لها ألا تقوم بأى خطوة لأن التقرب من صونيا مجدداً سوف يُحدث تغييراً شاملا .

عليها أن تقرّر ما إذا كانت تريد هذا التغيير قبل القيام بأيّ خطوة . إنها بحاجة إلى بعض الوفت وإلى الانعزال عن العالم لتتخذ قرارها . وافق جيد بأسى بعد أن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عاد سكوت يغط في نوع عميق : « أجل ، سوف أذهب » .

لكنه توقف عند المدخل وهمس : « إلا أنك تقودينني إلى الجنون » .

تنهدت : « أنا آسفة » .

أومأ برأسه بحدة ولم تستعد ميغ أنفاسها إلا بعد أن رجع إلى الغرفة الملاصقة وأغلقت الباب خلفه .

بدت غرفتها أشبه بمحطة قطار مع كل حركات الدخول والخروج . لكن هذه

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الغرفة لم تكن غرفتها بل إحدى الشّرف العديدة المُعدَة للضيوف . فهذا ما هي عليه الآن : ضيفة .

أما غرفتها الخاصة التي كانت لها في طفولتها والتي بقيت لها حتى انتقالها إلى لندن فهي في الجهة الأخرى من المنزل . . . بقيت على حالها منذ أيام مراهقتها ، الكؤوس والميداليات التى ربحتها في المسابقات الرياضية معلقة على أحد جدرانها ، وبعض من رسوماتها الخاصة

على الحائط الآخر ، فضلاً عن رقوف مليئة بالكتب التي قرأتها في طفولتها والتي رفضت التخلص منها . لا ريب في أنها اختفت كلها ، حالها في ذلك حال كل ما يشير إلى أن هذه الغرفة لها . حبست دموعها التي ظهرت على حين غرة تعبيراً عن توقها لبساطة الأيام الخوالي الخالية من الهموم حين كان أعظم القرارات التي عليها اتَخاذها هو اختيار لون سترة الفروسية في كل يوم .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كان جيد مُحقًّا : كلما ذابت الثلوج أسرعِ وتمكنت من الرحيل ، كلما أصبحت أحسن .

لم يشعر جيد لا بالزمان ولا بالمكان إذ كان مستغرقاً كلياً في الكتابة .

لم يدر كيف أو لماذا حصل ذلك ، إلا أنه وعند الساعة الواحدة فجراً ، ووسط عائلة تكثر فيها المشاكل العاطفيّة التي تعسر عليه فهمها لشدة تعقيدها ،

www.riwaya.ga مكتبة رواية

خطرت في باله حبكة رواية . لم يكن لهذه الحبكة علاقة بما حاول كتابته طيلة الأشهر الستة الماضية ، بل إنها حبكة جديدة تمامًا ، شعر بحاجة ماسة إلى تدوينها . يتطلب العثور على مكتبة دايفيد هاملتون جهدًا كبيراً ، فجلس إلى مكتبه ليخط الصفحة تلو الصفحة ، وقد تملكه شعور بأن هذا الكتاب سوف

يلاقي النجاح نفسه ككتاب «اللغز» إن لم يتفوق عليه .

لعل الإحباط الجسدي هو بالتحديد ما يحتاجه لتنشط مخيلته من جديد . فهو مُحبط . كان يرغب في ميغ ، رغب فيها أكثر من سائر النساء اللواتي عرفهن في حياته .

لكنه لن يحصل عليها ، وهو واثق من ذلك تماماً كما هو واثق من عدم ذُوبانِ الثلوج في الغد .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

راح يطالب نفسه أن ينظر إلى الأمور بتفاؤل ، فقد استعاد على الأقل مَلَكة الكتابة .

رفع نظره عندما أطفئت أنواز المكتبة فجأة وساد الظلام لبعض الوقت .

– ماذا ؟

وما لبث أن سطعت الأنوار مُجدداً تمامًا كما أطفئت .

كان دايفيد يلتمس في ابتسامته الاعتذار وهو يدخل إلى الغرفة : « أعتذر شديد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الاعتذار يا جيد . لم أكن أعلم أن أحداً هنا . اعتقدت أن أحداً نسي الأنوار مضاءة » .

وصمت لحظة ثم أضاف : «أنا آسف ، هل قاطعتك ؟ » .

ثم نظر باهتمام إلى رزمة الأوراق التي تحمل بين سطورها كتابات خطها جيد على عجلة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

استند جيد إلى الخلف وحرك عضلات كتفيه : « ربما يمكنني أن آخذ قسطًا من الراحة على أي حال » .

كشر حين أشارت ساعة الحائط إلى الساعة الثالثة ، ما يعني أنه استمر في الكتابة مدة ساعتين من دون توقف ، وهذا إنجاز رائع بعد ضياع دام شهرين .

– هل ميغ نائمة؟

عبس ثم قال ببطء وهو يحدق في وجه الرجل العجوز : « ليست الأمور دائماً كما تبدو للعيان يا سيدى » .

ابتسم دايفيد : « أعتقد أن حديثاً تحت العنوان ذاته دار بيني وبين ميغ هذا المساء » .

رفع حاجبيه الداكنين وسأل بتحفظ : « في الموضوع نفسه أو في أمر آخر » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عرُضت ابتسامة الرجل العجوز : « لا أسأل ابنتيَّ عن حياتهما الخاصة يا جيد » .

نظر جيد بحزن إلى دايفيد : « هل ينطبق ذلك على الرجال في حياة ابنتيك ؟ » .

رد العجوز ممازحًا : « حسنًا ، هذا امر مختلف » .

ثم راح يضحك إذ لاحظ تكشيرة جيد ، وأكد له برقة : « لست في صدد استجوابك عن نواياك حيال ميغ إذا كان

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هذا ما يزعجك . أنا واثق من أن ميغ ناضجة تماماً وتعرف ما تفعله » .

كان جزء منه يزيد الهروب بعيداً عن ميغ ، فيما الجزء الآخر يرغب في أن يحتجز في مكان واحد معها مدة أسبوع .

لكنه رأى أنه من الأفضل ألا يطلع أباها على ما يجول في فكره .

– والآن ، أظن أن على الذهاب إلى الفراش . وإذا لم تخني الذاكرة ، ينهض

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الأطفال الصغار باكرا جداً صباح عيد الميلاد .

أدرك جيد صحة هذا الكلام بعد ساعات قليلة حين سمع صراخًا يعلو في الغرفة الملاصقة : « ماما ، ماما ، لقد أتى ! أتى بابا نويل ! » .

وابتسم جيد إذ تخيل فرحة سكوت العارمة بالكيس المليء بالهدايا لكنه سرعان ما أبدى استياءه عندما رأى أن الساعة لا تزال السادسة والنصف

صباحاً ، ما يعني أنه لم ينم سوى ثلاث ساعات .

كان هذا خطأه هو ، بالطبع ، إلا أنه لم يأسف لذلك إذ أنهَى كتابة الفصل الأول من كتابه الجديد كما وضع مُخططاً تمهيديًا للفصول المتبقية ، وبالتالي لا يحتاج لسوى بعض الوقت ليجلس وينهي الكتابة فقط . ضاع الشهران الأخيران اللذان قضاهما ، في انكلترا سدى إذ لم يكتب شيئًا يُذكر .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ماما ! انظري ماذا أحضر لي بابا نوبل . إنها كتلك التي رأيتها في المتجر والتي كتبتها في لائحة هدايا بابا نويل .

رأى جيد أنه لا يستطيع البقاء مستلقياً هنا ليتابع انفعال وحماس سكوت عبر الجدران . كان عليه أن يكون شريكا في ما يجري في الغرفة المجاورة .

ها هو الكيس الأحمر البراق الذي كان فارغاً تحت سرين سكوت الليلة الماضية أصبح الآن على الأرض مملوءًا بالهدايا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

التي راح سكوت يتفخصها بحماسة شديدة .

رفعت ميغ ناظريها لترحب بجيد بابتسامة رضى : « لقد أتى بابا نويل » .

ابتسمت وقد بدت متأثرة جدا بغبطة ابنها .

رفع سكوت الهدية التى فتحها ، والتي على ما يبدو كانت سبب انفعاله منذ قليل . شاحنة حمراء براقة تجر خلفها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مقطورة تضع العديد من الحيوانات البلاستيكية الغريبة الشكل .

– انظر يا جيد .

– هذا عظيم يا صاح .

ابتسم وهو يفترش الأرض ليداعب شعر الصبي الصغير الداكن .

كان قد لبس على عجل سروالاً من الجينز وقميصاً قبل أن يترك غرفته ، إلا أن ميغ التي استفاقت لتوها لا تزال بملابس النوم : قميص قطنى لا شكل له

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ولا جاذبية ، لكن ليس على جسم ميغ

.

سألها برقة بعد أن بدأ سكوت بتمزيق ورقة الهدية الثانية : « هل تريدينني أن أحضر لك فنجانًا من القهوة ؟ » .

دُهشت ميغ لهذا العرض ، ما جعل جيد يوقن أنها لم تكن معتادة على ذلك ، فهو لا يصدق ما زعمته عن علاقاتها العابرة . كانت ميغ هاملتون صاحبة

مبدأ واضح : « إِمَا الارتباط وإما لا شيء » .

هزت رأسها ودعته قائلة : « إِبق واستمتع بما يجري . لا شيء أروع من مشاهدة ولد صباح عيد الميلاد » .

كانت محقة فما من شيء يفوق ذلك روعة . كان جيد وميغ مُحاطين بالهدايا والأوراق فيما راح سكوت يفتح الهدية الأساسية التي وجدها في أسفل الكيس

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الضخم والتي جعلت الصبي الصغير يفقد القدرة على الكلام لبضع دقائق .

وأخيراً تنهّد وهو غير قادر على التصديق : « إنها مزرعة يا ماما ، مزرعة حقيقية » .

لاحظ جيد أن ميغ تحبس دموعها وهي ترى الدهشة بادية على وجه ابنها ، فشعر بغصة في حنجرته خالطها شعور بالامتنان لميغ لأنها سمحت له بأن يشاركها هذه اللحظات .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لقد أمضى أعياد ميلاد عديدة في المزرعة مع أهله وأبناء إخوته الذين تتراوح أعمارهم بين خمس سنوات وإحدى عشرة سنة . ولكن الفرق يكمن في أنهم أبناء إخوته ؟ لذا فإن كاري وراي هما من شاركا أبناءهما هذه اللحظات الشيقة . ولم يكن جيد سوى متفرج ، يلعب دور العم الذي ستوكل إليه مسؤولية تزويد الألعاب الإلكترونية التي تلقوها بالبطاريات اللازمة .

كان الوضع هنا مختلفاً ، وقد جعلته ميغ مختلفاً حين دعته لمشاركتها به .

وفجأة وقف وقد أدرك حقيقة ما يجري له . لا يمكن . . . فهو بالكاد يعرف هذه المرأة منذ ست وثلاثين ساعة . لكن حين نظر إلى رأس ميغ الأسود ورأى شعرها الطوّل ينسِدل على كتفيها ، ووجهها الخالي من الزينة وجسدها في قميص النوم المحتشم ذاك ، أدرك أن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أسوأ ما كان يخشاه قد حصل . لقد وقع في حب ميغ هاملتون .

8 – هل يحمل الجواب؟

رفعت ميغ نظرها إلى جيد الذي وقف إلى جانبها وعبست للتعبير الذي ظهر على وجهه فجأة : « ما الخطب ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أجاب بصوت أجش وهو يتجه بسرعة ناحية الباب : « سأذهب وأحضر تلك القهوة الآن » .

حدقت ميغ في أثره وهو يغادر المكان متسائلة عما دفعه إلى المغادرة على عجل . لعل حديث سكوت عن المزرعة أيقظ في نفسه الحنين إلى عائلته أو على الأرجح أنه اكتفى من الحياة العائلية لهذا الصباح . أو لعله يحتاج فعلا إلى فنجان من القهوة لبدء النهار .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مهما تكن أسبابه ، شكت في أن يُفضي إليها بأسراره .

واكتشفت أنه لن يتمكن من الرحيل اليوم بعد أن تركت سكوت يرتّب مزوعته وراحت تتأمّل الطبيعة من النافذة. كانت الثلوج السميكة تغطى الأرض على امتداد النظر وكأنها بساط أبيض يُبهج العيون لكنه يمنع السفر منعاً باتًا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حُكم عليه أن يبقى معهم ليوم جديد ،
سواء شاء ذلك أم أبى .
من الواضح أنه لا يرغب في ذلك فقد
بدا عازفاً عن الكلام عندما نزل ميغ
وسكوت إلى أسفل . وبقي صامتاً أثناء
وجبة الفطور حيث كان الجميع منهمكين
في اختيار ما طاب لهم من الأطباق
المُقدمة في غرفة الطعام . لم تشعر ميغ
بميل إلى الكلام عندما أتت صونيا
وجلست بالقرب منها ، فهي لم تكن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

واثقة بعد مما عليها القيام به ردًا على ذلك الحديث مع شقيقتها. لاء لم تشآ أن يستمر التشنح بينهما ، فهي تحن لذلك التقارب الذي كانتا عليه في ما مضي . لكنها كانت

تعلم أنه تقارب يستحيل عليهما استعادته وأن ثمة موانع عديدة تحول دون ذلك .

اقترحت صونيا على الجميع : « لِمَ لا نذهب كلنا ونتمشى بعد الفطور؟ » .

أضافت بحماسة بعد أن امتنع الجميع عن الإجابة : « هذا سيتيح لسكوت فرصة تجربة مزلاجه » .

كان على ميغ أن تُقَرَ بانها صُعقت عندما بادر العم جيريمي والخالة صونيا فور وصولها مع سكوت إلى الأسفل إلى سؤالها إذا ما كان باستطاعتهما تقديم هديتهما لسكوت الآن .

في العادة ، كانت الهدايا التي توضع تحت الشجرة ، وهي الهدايا التي يتبادلونها في

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ما بينهم وليس التي يقدّمها بابا نويل ، تفتح في الساعات الأولى من عشيّة عيد الميلاد قبل أن يتناولوا عشاء مؤلفًا من الأطباق الباردة .

وقد شرح جيريمي أن هديتهما لسكوت يحلو استخدامها الآن اكثر من أي وقت لاحق في المساء .

كما كانت ميغ على ثقة من أن سكوت يكاد يطير فرحًا بعد أن رأى المزلاج اللامع الذي لُف بورقة مزقها بلهفة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كان رد فعل سكوت واضحًا لكن شعورًا غريباً تملكها حيال هذه الهدية الباهظة التي قدمت لابنها .

وبعد ساعة كانت لا تزال عاجزة عن تحديد شعورها .

قال الوالد بحماسة : « يا لها من فكرة رائعة . سوف نستمتع بذلك ، أليس كذلك يا سكوت ؟ ثمة هضبة صغيرة مناسبة للتزلج خلف المنزل » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– دايفيد ، لا أظنها فكرة جيدة لك أن

. . .

قاطع والد ميغ اعتراض والدتها بسلاسة

: « ليديا ، لا أنوي أن أجر المزلاج

بنفسي ، وجبريمي لا يستطيع القيام

بذلك حتماً بسبب . التواء كاحله » .

وابتسم لجيد وتابع : « لكني واثق من

أن جيد سيقوم بتلك المهمة » .

هز جيد رأسة موافقًا : « أنا موافق . . .

ميغ ؟ » .

كانت نظرته إلتها عبر الطاولة مبهمة . ما هذا الموقف الذي وُضعت فيه ، فمن غير المعقول أن تعارض وتسرق فرحة سكوت ، وإن كانت تتوق إلى ذلك في أعماقها . أهملت هذه العائلة وجود سكوت طيلة ثلاث سنوات ونصف ، وها هم يحيطونه الآن بالعناية والاهتمام وكأنه فرد عزيز منهم . وهو أمر تحتاج وقتًا طويلاً قبل أن تعتاد عليه .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم تكن تتصور ما ينتظرها خلال هذه الزيارة التي ستدوم ثلاثة أيام ،,لكن من المؤكد أنها لم تتوقع هذا .

وسرعان ما وافقت على المشروع بعد أن أدركت أن جيد ينتظر جوابًا : « أجل بالطبع يمكننا أن نذهب للتزلج » .

وفي الحال قفز ابنها فرحا واحتضنها قبل أن يتناول طعام الفطور بسرعة ، متلهفا للخروج وبدء التزلج .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لحق بها جيد وهي تصعد مع سكوت لتبديل ملابسهما استعداداً للخروج : « هل أنت حقاً موافقة على ذلك ؟ » . حدقت فى وجهه وهو يصعد الدرج إلى جانبها ليجلب معطفه : « أجل بالطبع . ولِمَ أُمانع ؟ » .

– لا فكرة لدي . خلت وحسب أننى لاحظت بعض التردد فى موقفك منذ قليل . لكدبي أرى أن هذا هو أولَ أمر طبيعي تقوم به هذه العائلة منذ قدومنا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

راحت تذكر نفسها بأنه لا يرغب في أن يكون هنا وما وجوده الآن إلا لأنه سعى لمساعدتها هي وسكوت .

سألته بنبرة عالية : « ماذا يمكن أن تفعل عائلتك الآن؟ » .

هز كتفيه : « النوم على ما أعتقد » .

وصمت ثم أضاف ساخراً : « ثمة فارق ساعات بين توقيتنا وتوقيتهم » .

ابتسمت : « فاتني هذا . ربما تريد أن تتصل بهم في وقت لاحق لتتمنى لهم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ميلادًا مجيدًا ؟ أنا واثقة من أن والدىَّ سَيُسران جدًا لاستخدامك الهاتف هنا »

.

أومأ برأسه : « شكرًا . سأفُكر بالأمر »

.

كانت تجهل سبب الارتباك بينهما الآن وتكلفهما فى الحديث بدا عليهما الانسجام التام صباحاً وهما يشاهدان سكوت يفتح الهدايا ، قبل أن ينصرف

www.riwaya.ga مكتبة رواية

جيد على عجل بحُجة إحضار فنجان القهوة لها . لكنه

لم يعد حاملاً فنجان القهوة في يده بل كان والدها هو من أحضر لها بعد ساعة ، وقد قدم ليرى رد فعل سكوت على الهدايا فراح يلهو مع حفيده فيما استحمت ميغ .

لم تنو ميغ تذكيره بفنجان القهوة ، فهو لم يعد قريبًا منها كما كان في السابق .

الغريب أن علاقتها مع عائلتها ، لا سِيما مع والدها وصونيا ، باتت أقل توتراً فيما ظهرت هوة سحيقة أبعدتها عن جيد هوّة لا يمكن ردمها على ما يبدو . كشرت وقالت : « أخشى أنني لا أملك هدية أقدمها لك لاحقاً » .

أجاب جيد بهدوء وهما يجتازان الرواق لبلوغ غرفتيهما : « لا بأس ! أنا أيضا لا أملك هدية لك » .

ثم أضاف : « أنى لنا أن نملك هدايا فحن لم نتعارف إلا منذ يومين » .

توقّفت ميغ ويدها ممدودة على باب غرفتها ثم نظرت إليه بتردد : « جيد ، إذا ما بدّر مني اليوم أي تصرّف أزعجك . . . » .

قاطعها : « ولِمَ على اليوم أن يكون مختلفا عن سابقيه ؟ فنحن نزعج بعضنا منذا اللحظة التي التقينا قيها » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أصدرت تنهيدة ممزوجة بالألم . لم يكن هذا صحيحاً جداً ، أليس كنلك ؟ مما لا شك فيه أنهما كانا يتشاجران ويعاند أحدهما الآخر في بعض الأحيان ، إلا أنه غالباً ما كانا ينتهي أحدهما بين ذراعي الآخر .

نصحها جيد وهو يبتسم ابتسامة كئيبة :

« لا تقلقي يا ميغ إنه عيد الميلاد » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أجل ، كان يوم عيد أفضل بكثير مما توقعت عندما تركت لندن قبل يومين ، إذا ما استثنت ما يجري مع جيد .

نعم ، بإستثناء جيد .

ثلاثة أيام . لم يمض على معرفتها بهذا الرجل سوى ثلاثة أيام ، على الرغم من ذلك فهي تعلم مُسبقاً أنه سيترك فراغاً كبيراً في حياتها عيدما يُغادر .

شعرت بشحوب وجهها واتساع عيئيها وكأنها أدركت فجأة حقيقة مروعة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لقد وقعت في حب جيد كول .

طرفت بعينيها وهي تنظر إليه بانبهار غير عالمة كيف تم ذلك أو حتى لماذا . لم تكن تعلم ، وهي تتأمل وسامة وجهه الخشنة ، سوى أنها وقعت في حبه .

وهذا بدون شك أكثر ما فعلته في حياتها تهوراً .

انتسبت إلى معهد الفنون رغم معارضة والدتها الشديدة واحتفظت بسكوت رغم ما لاقته من معارضة أشد ، وها هي

الآن تقع في حب رجل ليس في منالها .
وليس في منال أي امرأة تريده لها على الدوام استناداً إلى ما سمعته منه البارحة ونظراً لبقائه عازباً حتى سن الثامنة والثلاثين .

تفرّس جيد فيها قَلِقاً بعد أن لاحظت نظراته الحزينة شحوب وجهها : « هل أنتِ بخير ؟ » .

لا ، بالطبع ليست بخير ، وقد لا تكون بخير أبداً بعد الآن ، فهذا ضرب كبير

www.riwaya.ga مكتبة رواية

من ضروب الحماقة أن تقع في حب هذا الرجل . لكن هذه حماقتها وستحتفظ بسرها لنفسها . سيتسنى لها الوقت لتندم على فعلتها

بعد رحيل جيد .

قالت وهي تهز برأسها : « أظنني استيقظت باكراً . صونيا محقّة ، فالتنزه في الهواء الطلق هو بالتحديد ما نحتاج إليه » .

نظر إليها جيد حائراً : « هل أنتما على وفاق الآن ؟ لاحظت بعض التحبب بينكما على الفطور » .

تمنّت لو بوسعها أن تتحدّث إلى أحد ، إليه ، عن سبب ذلك النفور الذي يُبعدها عن صونيا ، عله يُسديها نصيحة بشأن ما عليها القيام به . إلا أنها قطعت وعداً في الماضي الغابر، وكذلك فعلت صونيا ، وهي لا تستطيع ، ولا ترغب

www.riwaya.ga مكتبة رواية

البتة في النكث بذلك الوعد . فلو فعلت لألحقت الأذى بكثيرين .

أجابت بحذر : « إن الأمور تتحسن . شكراً على السؤال » .

أومأ برأسه مشجعًا : « هذا جيد » .

لكنه لم يحاول الدخول إلى غرفتة وبقيت نظراته تراقبها بحذر .

قالت ميغ بسرعة : « إنهم ينتظروننا في الأسفل » .

– نعم .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لكنه لم يحرك ساكنا .

وذكرته ميغ مداعبة : « وعليك حمل المزلاج إلى أعلى الهضبة » .

ارتسمت على شفتّيه ابتسامة: «هل رأيت ملامح سكوت عندما فتح هديته ورأى المزلاج؟ » .

أجل ، لقد رأته وقلقت بشأن ذلك . فلو ظنت صونيا أن لعب دور خالة سكوت يعني أن تغدق عليه الهدايا الباهظة ، فلن ينجح الأمر .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أضاف جيد برقة أمام صمتها : « إنها مسألة طبيعية ، أليس كذلك ؟ الأطفال فى عيد الميلاد ؟ » .

أجل ، إنها كذلك ، ولعلها لم تكن مُنصفة مع شقيقتها .

أدركت أنها كشفت عن بنات أفكارها بصوت عال بعد أن سمعت ما قالته ، فعضت على شفتها السفلى مُدركة فداحة فعلتها :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– تريد صونيا أن تبدأ بلعب دورها

كخالة لسكوت .

نظر جيد إليها نظرة الحائر : « وهل في

هذا مشكلة بالنسبة إليك ؟ » .

حبست أنفاسها قبل أن تُجيبه باسمة وهي

تدير أخيراً المقبض لتفتح باب غرفتها :

– لا ، بالطبع لا . وأخيراً ، سنكون

عائلة واحدة كبيرة وسعيدة .

إلا أنها أدركت مُجفلة أن وقع كلامها بدا

غير صادق .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وأدركت أن جيد لاحظ ذلك إذ ازداد تجهم وجهه : « ميغ ، ماذا . . . ؟ » .

– علينا فعلاً أن نعود إلى الأسفل يا جيد .

رسمت على شفتيها ابتسامة تافهة قبل أن تدخل إلى غرفتها وتوصد الباب بإحكام خلفها .

أىَّ من الأحداث لم يجرِ كما توقعت . . .

أي منها . . .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أولاً ذلك التغيير في والدها وعزمه الهادئ على تنفيذ إرادته ، ومن ثم جهود شقيقتها لتكسب ودها . ولم يكن في الحسبان ، قطعاً لم يكن في الحسبان أن تلتقي جيد كول ، وأن تقع في حبه .

عرض جيد المساعدة على ليديا التي تخلفت عنهم وهم يصعدون الهضبة : « هل تحتاجين إلى أيّ مساعدة يا ليديا ؟ »

.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كان الثلاثة الآخرون قد شارفوا على الوصول ، وأصرُّ كل من ميغ وسكوت على جر المزلاج فيما راحت صونيا تدفع من الخلف . وقد بقي دايفيد وجيريمي في أسفل الهضبة لالتقاط المزلاج عند انزلاقه .

أقَر جيد بأنه ذهل عندما عاد إلى الأسفل ووجد أن ليديا هاملتون آثرت المشاركة في مغامرة التزلج ، وهي التي بدا أنها تُحبذ البقاء في المنزل حيث الدفء

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لتراقبهم عبر النافذة ، إذا ما رغبت في ذلك .

أمسكت بذراعه مُمتنة : « شكراً لك يا جيد » .

لم يكن حذاؤها الأنيق مُعداً لصعود الهضاب الزلقة المكسوة بالثلوج . راحت تُحادثه بأسلوب متكلف :

– اعتاد دايقيد أن يُمارس هذا النشاط مع الفتاتين عندما كانتا صغيرتين .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لاحظ جِيد أنها لم تقل « دايفيد وأنا » : « حقاً ؟ » .

رمقته ليديا بنظرة خاطفة ؛ وكأنها أحسّت بسؤاله المُبطن : « كنت ألازم المنزل وأنتظر أن يعودوا لأجففهم وأعد لهم شراباً ساخنًا » .

لاحظ جيد أن نبرتها لم تخل من المرارة وكأنها تحن لتلك الأيّام حين كانت ابنتاها صغيرتين والحياة أقل تعقيداً .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

راح جيد يشجعها بلطف متسائلاً عما

إذا أساء الحكم على ليديا هاملتون : «

لكنك بذلت جهداً اليوم » .

ما أن أزيل ذلك القناع المتغطرس حتى

لاحظ جيد امرأة وحيدة جدًا اعتادت

أن تسهر على راحة عائلتها وهي بعيدة

عنها ، وكأنها تخشى إظهار مشاعرها .

وخطر له أن هذا من نسج خياله وذلك

بعد أن بلغا قمة الهضبة وعادت ليديا

هاملتون سريعًا تضع ذلك القناع وهي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تتحدث مع ابنتها البكر عن أصحاب لهما في لندن غير آبهة بحفيدها الذي يُعد العدة ليركب المزلاج للمرّة الأولى .

سألته ميغ وقد جلس على المزلاج مع جيد الذي قرر مرافقته في المرة الأولى :

« مستعد ؟ » .

بدت فاتنة في سروال الجينز والسترة السميكة والقصيرة فوق كنزتها الخضراء . كانت تنتعل حذاء يصل إلى الكاحل وقبعة صوفية حمراء تغطي أذنيها ، فيما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

انسدل شعرها كالحرير، وتورد خداها من الجهد الذي بذلته لصعود الهضبة ، والتمعت عيناها الخضراوات فرحاً .

أحس جيد بألم جسدي حقيقي وهو يحوّل نظره عنها ليرى سكوت وقد لمعت عيناه إثارة وهو بانتظار لحظة الهبوط .

إن من يشاهد هؤلاء الثلاثة ويحسبهم عائلة حقيقية ويعتقد أن هذه المرأة امرأته ، وهذا الصبيَ الصغير ابنه ، معذور .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كان جيد كول يرفض إقامة علاقة جدية مع أي من النساء اللواتي عرفهن في السنوات السابقة ، ويستبعد كليًا فكرج إنجاب أطفال من صلبه . وقد اعتاد أن يقول لوالدته كلما عيرته بعزوبيته إن لديها عدداً كافيًا مع الأحفاد ولا حاجة لإضافة المزيد إليهم . ما من شك لديه في أنَ والدته ستحب ميغ ، وسكوت أيضًا ، وأنها ستحتضنهما كليهما و . .

.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وسرعان ما أنب نفسه ، ودعاها للعودة إلى الصواب فميغ ليست له ولا حتى سكوت . ولن يكونا كذلك أبداً . لم يصدق ميغ عندما زعمت أن العلاقات التي أقامتها في السابق كانت عابرة . ولكن لا شك أنها كانت صادقة عندما زعمت أنها لا تنوى إقامة أي علاقة جدية أبداً !

هل هذه سخرية القدر ؟ فبعد سنين من تجنب الوقوع في فخ الزواج وقع في حب

امرأة لا ترغب في الزواج به ؟ بدا صوت ميغ حائرا هذه المرة حين لم تلق جوابا منه : « جيد ؟ » .

حسناً . . . لا . الأمر ليس مُضحكاً البتة . الوقوع في حب شخص ما ليس أمرًا يثير الضحك على الإطلاق .

عليه فعلاً أن يعود إلى صوابه ، عليه أن يحمل مسودة الفصل الأول من كتابه ويفر بعيداً من هنا بأقصى سرعة ممكنة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لكنه اكتفى الآن بوضع رجليه الطويلتين على المزلاج إلى جانبيَ سكوت : « هل أنت مستعد يا صغيري ؟ » .

انتظر ريثما أومأ الصبيَ المتحمس قبل أن يدفع المزلاج برجله وِيشِد ذراعه بإحكام حول خصر سكوت ليبدأ بالانزلاق .

كانت الريح الباردة تصفر في أذنيه وصراخ سكوت فرحاً يُدوي في مسامعه فلم يعد قادراً على إخفاء ابتسامته . راح الاثنان يضحكان إلى أن بلغا ناحية

www.riwaya.ga مكتبة رواية

دايفيد وجيريمي اللذينَ أوقفاهما عند أسفل الهضبة .

أدرك جيد بعد مضي ساعة أنه يستمتع بوقته . كان يمضي وقتاً ممتعًا للغاية بعيداً عن الاضطرابات التي شهدها داخل المنزل . فحتى صونيا كان لها نصيب في ركوب المزلاج لكن المحاولات كلها لم تفلح في إقناع ليديا بخوض المغامرة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ضحكت صونيا بنعومة وهي تمشي بمحاذاته في طريق العودة إلى المنزل بعد ساعتين : « كان ذلك ممتعاً للغاية ! » .

لم تعد صونيا تبدو في أناقتها المعهودة ، بشعرها المتطاير وشفتيها الخاليتين من أحمر الشفاه ، فغدت في نظر حجيد أفضل بكثير مما كانت عليه ، أقرب إلى ميغ .

أجاب برقة : « كانت هدية ممتازة » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

زعمت ميغ أن علاقتها بشقيقتها التوأم تتحسن ، بيد أن جيد شعر بتباعد أكيد بينهما .

مررت صونيا يدها في شعرها المتطاير : « لا يتناسب إطلاقاً مع الحياة في لندن بالطبع . لكنني واثقة من أنه سيسر أمي وابي أن يترك سكوت المزلاج هنا لاستخدامه كلما أتى للزيارة » .

رفع حاجبيه الداكنين : « إذاً تظنين أن ثمة زيارات مُقبلة » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تلاشت ابتسامة صونيا تدريجيًا : «أرجو ذلك »

ثم حملقت في وجهه : « أنت لا تحبني كثيرًا ، أليس كذلك ؟ » .

بدا كلامها وكأنه استنتاج أكثر منه سؤالاً .

هز كتفيه : « أنا لا أعرفك » .

مع أنه شعر بأنه ليس هناك الكثير لمعرفته فشخصيتها ليست عميقة كشخصية ميغ .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ضحكت ضحكة مرتبكة : « لا ،

بالطبع لا تعرفني » .

ثم أضافت بحسرة : « ميغ هي الألطف

بيننا . ربما كلمة مميزة تعبر بشكل أفضل

، أجل ميغ مميزة جداً » .

وتجهم وجهها قليلاً وهي تضيف : «

وهي تستحق السعادة » .

رفع جيد حاجبيه معاً : « هل تحذرينني

الا الحق الأذى

بشقيقتك ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بادلته صونيا النظكر من دون أن يرف لها جفن : « وهل أحتاج إلى ذلك ؟ » .

تجنب الِردَ على سؤالها المباشر: « هل خطر في بالك مرّة أنها هي من يُلحق الأذى بِي ؟ » .

شخرت غير مصدقة هذا الإدعاء : « لم يسبق لميغ أن الحقت الأذى بأي إنسان » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ووضعت يدها على ذراعه وتابعت : «
وأظن أنك يا سيّد جيد كول رجل يمكن
الوثوق به ولن تفطر قلب أختي » .
– هل أنا كذلك ؟
ولكن قبل أن تتمكن صونيا من الإجابة
، تجاوزتهما كرة من الثلج لترتطم بظهر
جيريمي العريض . صرخ والتفت من
حوله وعيناه تضحكان وهو ينحني
ليجمع القليل من الثلج استعداداً
للمواجهة : « من فعل هذا؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ضحكت ميغ وهي تجر المزلاج مع سكوت : « لا يسعني أن أكذب . إنه جيد » .

استدار جيد : « أيتها . . . » .

لكن لم يتسنّ له أن يكمل كلامه إذ استقرت كرة من الثلج على الجهة الخلفية من رأسه .

عقب ذلك مواجهة مفتةحة من كرات الثلج المتطايرة عشوائياً في الهواء والتي شملت الجميع ولم تستثن حتى ليديا التى

دخلت حلبة المواجهة بعد أن أصابتها كرة ثلج رماها سكوت في صدرها . إلا أن محاولة الرد التي قامت بها باءت بالفشل لكنها على الأقل حاولت .

وفور وصولهم إلى المنزل مرهقين ، مُبللين ومع هذا فرحين ، قالت ليديا : « أَظن أن الكل يرغب بالشوكولا الساخن » .

تقدمت ميغ من جيد بعد أن كانت تقف أمام النافذة فى غرفة الجلوس تتأمل

المنظر الموحش والخلاب : « اعتذر عما جرى » .

ثم انبرت تشرح كلامها قبل أن ترتشف جرعة من الشوكولا الساخن : « إنها لعبة اعتدنا أن نلعبها أنا وصونيا فى طفولتنا . فإذا استهلينا كلامنا بعبارة « لا يسعني أن أكذب » فهذا يعني أن ما نقوله كذب » .

وسألته بنعومة : «عمّا كنتما تتحدثان ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

توخت الرّقة والحذر في سؤالها وكأنها تعلق أهمية بالغة على جوابه ولم يفهم هو السر وراء ذلك .

تملص من الاجابة : « أحاديث متنوعة » .

أحس بميغ ترمقه بنظرة خاطفة وحائرة ثم قالت بالرقة عينها : « لم أتوقع أن تجدا مواضيع مشتركة تتباحثان فيها » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أحس جيد مرة أخرى بالتوتّر الذي تُخفيه وراء تلكِ الكلمات فأعلن بجفاء : « لا ، ليس كثيرًا » .

ايتسمت ميغ ابتسامة توحي بالثقة : « إذاً ماذا وجدتما لتتباحثا فيه ؟ » .

أجل ، لقد صدق حدسه . كانت ميغ قلقة بشأن الحديث الذي دار بينه وبين صونيا . ولكن لماذا ؟ ما عساها تظن أن شقيقتها أخبرته لتقلق هكذا ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

استدار نحوها لينظر في وجهها ويتحقّق من رد فعلها ، ثم همس برقة : « أنتِ في المقام الأول » .

وبأن في عينيها بريق من الريبة لكنها سارعت إلى إخفائه واستعادت تلك الابتسامة الساخرة : « أنا ؟ ماذا يُمكن لصونيا أن تُخبرك عني ؟ » .

لم يُرق ذلك لجيد ، ولم يطمئن لرقة ميغ المُصطنعة والتي بانت من الطريقة التي قبضت بها يداها على كوب الشوكولا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الساخن بحيث ابيضت مقاصل أصابعها . وأملى عليه خدسه أن يسألها سؤالاً لم يخطر في بال أحد : « ميغ ، ما هو السر الكبير الذي تخفينه أنت وصونيا والذى يباعد بينكما ؟ » . كان يعلم أنه وجه إليها ضربة مباشرة بسؤاله ، وقد أدرك ذلك من امتقاع وجهها فجأة وتحول الريبة البادية في عينيها إلى خوف حقيقي .

خوف !

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ولكن مما ؟

وخالج جيد شعور بأنه لو كُشف ذلك السر ، لاكتشف المفتاح الذي يفسر الاضطرابات التى تعصف بهذه العائلة . لكن لا فكرة لديه إطلاقاً عن هذا السر . ماهو السر العميق والعظيم الذي أبعد ميغ عن عائلتها منذ مولد سكوت وجعل شقيقة في مواجهة شقيقتها ؟ ما الذي جرى يا ترى ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

استدار جيد وأجال بنظره داخل الغرفة الى حيث جلس الصغير على السجادة يلعب بحيوانت مزرعته مع جده .

كيف يمكن لهذا الصبي كيف يمكن لهذا الصبي الصغير البريء أن يحمل الجواب ؟

9– شاهد على أمر عظيم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لاحظت ميغ كيف نظر جيد إلى سكوت وعلامات التفكير بادية على وجهه . . . حاولت أن تلهي جيد عن التفكير بسكوت ليركز عليها فهتفت ساخرة منه : « أعتقد أنك بدأت بالهذيان يا جيد ، أو أن عقدة التوقف عن الكتابة انحلت وأطلقت العنان لمخيلتك الخصبة » . وبالفعل لفتت انتباهه فبات عبوسه مركزاً عليها الآن ، وهذا ما أرادته بالتحديد .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تفرّس في وجهها وقال ببطء : « بقيت مستيقظاً نصف فترة الليل وأنا أكتب »

.

ابتسمت ابتسامة ساخرة : « هذه هي المسألة إذا ؟ إفراط في نشاط الخيال وقلة نوم . لعلك جائع أيضاً بعد التزلج هذا الصباح » .

أجفلت في سرّها وقد أدركت أنها بالغت فى السخرية فيما عادت إمارات التفكير تظهر على وجه جيد .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حبست ميغ أنفاسها منتظرة جوابه وهي لا ترغب بإجراء هذه المحادثة أبدًا . .

ليتها تستطيع تجنبها !

وبدا بعد أن اتفرجت أسارير جيد وظهرت الابتسامة على وجهه أنها نجحت هذه المرة .

– كنت أفكر في ذلك . فبعد تقديم لحم الغزال على مأدبة العشاء البارحة ، ماذا ينتظرنا على مأدبة الغداء الخاصة بعيد الميلاد ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ضحكت ميغ من عبارته وبدأ التوتر ينجلي رويداً رويداً بفضل تغيير الموضوع . فأكدت له بلهجة مرحة : « الديك الرومي بالطبع. إنها الوجبة التقليدية » .

أجاب بجفاء : « بالطبع ! فهذه العائلة تحفظ التقاليد على أكمل وجه » .

أومأت برأسها : « نحن كذلك في بعض الاحيان » .

– وهل يخلد الجميع إلى النوم بعد الظهر ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم تتمكن من الإجابة إذ تقدّم جيريمي ببطء لينضم إليهما . وازداد ارتياح ميغ إذ لم تعد المحادثة تركز عليها .

وحان موعد الغداء فجلست بين سكوت ووالدها هذه المرة فيما جلس جيد قرب سكوت فلم تتح له أي فرصة لمحادثتها مجدّداً في أمور شخصية .

لكن بعد مرور ساعتين ، أتخم الجميع بحيث شعروا بالنعاس ، فاستسلم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سكوت للنوم على ركبة جده ، فيما توارى جيد عن الأنظار.

ما أن انتهوا من تناول الطعام حتى انتهزت ميغ الفرصة لتتركهم جميعاً لبعض الوقت . فتوجهت إلى المطبخ لترتشف القهوة مع بِيسي ، فدفء المطبخ وحميميته يذكرانها بالأيام الخوالي التي اعتادت قضاءها هناك في طفولتها . بعدئذ ، بدا لها من الطبيعي جداً أن تتوجّه إلى الغرفة التي كانت تشغلها في

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الماضي وقد دفعها إلى ذلك فضولها لمعرفة ماذا فعلت والدتها بها . أرادت أن ترى ما إذا تحولت إلى غرفة ثانية للضيوف أو ربما غرفة ثانوية تُخزن فيها قطع الأثاث غير المُستخدمة .

كانت مخططة في كلا الافتراضين .

وجدت الغرفة على حالها منذ تركتها في آخر زيارة لها منذ أكثر من ثلاث سنوات .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ما من شيء تغير ، فالميداليات ما زلت مُعلقةَ على أحد الجدران ورسوماتها على الجدار الآخر ، وكُتبها قابعة على الرفوف على طول أحد الجدران ، وسريرها مفروش أيضاً بالأغطية وكأنها تنوي أن تنام هناك الليلة .

صُعقت عندما وطات قدماها الغرفة ، وارتعشت عند ملامسة صندوق الموسيقي فوق الطاولة المكسوة بقماش مُطرز .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم تجد أي أثر للغبار على الأثاث ، أو

أي أثر للإهمال في الغرفة التي بدت

وكأنها تنتظر عودتها .

أقفلت غطاء صندوق الموسيقى وانتقلت

إلى جانب السرير لترى الإناء القديم

فوق الطاولة يُعبق برائحة الورود النضرة

التي فاح عطرها .

شعرت بضعف في ركبتيها فجلست كئيبة

على طرف السرير تتأمل من حولها من

دون أن تفهم شيئا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ماذا يعني هذا كله ؟ من حافظ على غرفتها بهذه الصورة ؟ ليس بيسي بكل تأكيد ، فلديها ما يكفيها من عمل ولن تتكبد عناء تنظيف غرفة لا تستخدم .

كما أن من يتولى مَهمتي الطبخ والتنظيف لم يكن ليقوم بهذا كله من دون أن يتلقّى التعليمات . وهذه التعليمات ، بالطبع ، عليها أن تصدر من ليديا . لم تعد ميغ تفهم شيئاً حقاً .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لِمَ تقوم والدتها ، الباردة والمتسلطة بتكبد عناء الحفاظ على غرفتها كما كانت في الماضي ، لا بل الاعتناء بها لدرجة . . .

- هل هذه غرفتك ؟

كانت مصابة بالذهول لِما اكتشفته بحيث لم تقو سوى على تحريك رأسها ببطء باتجاه جِيد وكأنها تحت تأثير مخدر ثم أومأت برأسها ايجاباً . أجال نظره في الغرفة ، متوقفاً عند الكؤوس والميداليات التي فازت بها قبل سنوات .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

استدار لينظر إليها وقد بدت على وجهه تعابير غامضة : « هل ها زلت تمارسين رياضة الفروسية ؟ » .

هزّت رأسها : « ليس في السنوات الأخيرة » .

– ربما يجدر بك ممارستها مجدداً . يبدو انك كنت ماهرة وأنا أواثق من أن سكوت سيستمتع بتعلم الفروسية .

وافقته الرأي وهي حائرة في أمرها : « ربما » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ماذا يفعل جيد في الطابق العلوي ؟ فهذه الغرفة في الجهة المعاكسة للغرفتين اللتين ينامان فيهما ، فماذا يفعل هنا ؟ استدار وراح يشرح لها بعد أن نجح في قراءة أفكارها : « كنت متوجهاً إلى الأسفل لأطلب فنجاناً من القهوة من السيدة سايكس عندما رأيتك تعبرين الرواق العلوي » .

عبست ميغ : « لحقت بي » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أومأ برأسه وقال بنبرة لطيفة : « لحقت بك . اعتقدت أنك قد تتحتاجين إلى مُرافق » .

ثم سألها بصوته الأجش : « هل كنت مُخطئاً ؟ » .

بالكاد تمكنت من أن تبتلع بريقها وراحت تشد بيدها على الغطاء المخرّم على السرير: « لا ، لم تكن مخطئًا . اعتقدت أن هذا كله . . . » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وجالت بنظرها في هذه الغرفة الجميلة وأضافت : « اعتقدت أن المكان تغير » .

حبست دموعها التي سالت على غفلة منها : « في المقابل ، في المقابل وجدت . . . » .

توقفت عن الكلام إذ انفطرت مشاعرها الرقيقة .

– وجدت في المقابل أنه تم الحفاظ عليها كما كانت ساعة تركتها ، أليس كذلك ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

انتقل جيد ليجلس على طرف السرير إلى جانبها . فقالت وهي تحاول حبس دموعها التي انهمرت بغزارة على خديها : « ماذا يعني هذا يا جيد ؟ » .

دنا منها ليمسح دموعها برقة من على خديها ، وقال بصوته أجش : « أعتقّد أن هذا يعني أن والدتك امرأة معقدة وعاطفية للغاية ولا يستطيع أحد سوى والدك أن يقهمها » .

والدها . . . ذلك الحديث الذي دار بينهما الليلة الماضية عندما أخبرها والدها أن والدتها تحبها . فهذه الغرفة ، التي بقيت كما كانت عليها قبلاً ، لابد أن تعني أن كلامه صحيح . لكن لماذا لا تُظهر والدتها العاطفة ؟ لِمَ تبدي كل هذا التحفظ ؟

راح جيد يخفف عنها بعد أن لاحظ صمتها : « والدتك لا تشبهك يا ميغ

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فهي تضبط مشاعرها ، أيًا تكن تلك المشاعر » .

ادعت صونيا أنها لا تشبهها أيضاً . لكن ميغ اكتشفت في اليومين السابقين أن في داخلهما شعوراً لم تكن تخال يوماً أن أياً منهما تحمله . وذلك الشعور هو الحب . قد لا تظهرانه كما تفعل ميغ ، إلا أنهما تحبان فعلاً .

وسرعان ما لاحظت بوضوح أن هذا يشبه تماماً حُبها لجيد .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لا تستطيع أن تحبه ، ولا تريد أن تحبه ، لكنها أحبته .

أحبت شكله ، وروحه المرحة ، ومزاحه مع سكوت ولطفه معه والتفهّم الذي أظهره أمام أهلها ، والدفء الذي أبداه عندما تحدث عن عائلته . لكن الأهم هو أنها أحبّته هو ، والشجاعة التي يتحلى بها عند الضرورة ، وأسلوبه في جعل المشاكل تبدو تافهة عبر جعلها تضحك منها ، وذكاءه . والطريقة التي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يعانقها بها . كان قَربه رائعاً . ورائحته أيضاً ، حتى أنها في تلك اللحظة لم تعد تأبه بشيء سواه .

كانا متعطشين لبعضهما البعض ويتجاوب أحدهما مع الآخر بطريقة لا سبيل إلى إنكارها ، فيشتعل جسد ميغ ناراً بقرب جيد . وهي تعلم أن شعوره يماثل شعورها .

– أنت جميلة جداً يا ميغ . رقيقه ورائعة وفاتنة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وأحنى رأسه ليعائقها فاضطربت

مشاعرها . وشعرت بحاجة إليه ، إليه كله

.

وهذه الحاجة شعر بها هو أيضاً . شعر

بالرغبة تجتاحه كما أحس بتجاوبها معه .

تغلغلت أصابعها بشغف في عتمة شعره

ودنت منه أكثر ، مغمضة عينيها لتغرق

فى بحر المشاعر المتلاطم .

وعندما فتحت عيئيها ورفعت ناظريها

رأت الغطاء المخرم على سريرها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ليس هنا . . . لا يمكن أن يحصل هذا هنا ، وسط ذكريات طفولتها . لا يمكنها ذلك .

وردد جيد بصوت خشن ما يدور في بالها : « ليس هنا يا ميغ » .

وراح يتأمل وجهها قبل أن يضيف ساخراً من نفسه : « هذا لا يعنى اننى لا أريدك . لا يسعني ادعاء هذا في هذه اللحظة ، أليس كذلك ؟ أنا أريدك يا ميغ بما يتجاوز حدود المعقول » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وبدت اللوعة على وجهه وهو يتأمل ذكريات طفولتها .

– ولكن هذه . . . هذه الغرفة . . .

وفعت يدها لتلمس حرارة خدّه والحزن باد في ابتسامتها : « لدي الشعور ذاته يا جيد كما أن هذا لا يليق بي . ربما . . . ربما يجدر بنا أن نعود إلى الأسفل وأن نجعل ما حصل طي النسيان؟ » .

لم يكن يظنَ أنه سينسى يوماً إحساسه بهذه المرأة . غير أنه لم يكن يريدها لمدة

قصيرة ، بل لأيام وليالي وأسابيع يتعرّف فيها عليها .

لم يعرف ماذا يفعل بميغ هاملتون .

لا ريب فى أنه يريدها .

وما لا يستطيع أحد نكرانه هو أنها تريده هي أيضاً.

ولكن ماذا يريد كل منهما ؟ كل شيء ؟ أو لا شيء ؟ لا يمكنه المضيّ في هذه العلاقة ما لم يجد جواباً على ذلك .

ولم يظن أنها هي بدورها يمكنها ذلك .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أومأ برأسه وهو يستدير لينظر إليها : « سننزل إلى الأسفل لكنا لن ننسى ما حصل يا مِيغ » .

ولمس أحد خديها المتوردين ثم أردف : « سنتابع الحديث لاحقًا ، موافقة ؟ عندما يخلد الجميع إلى النوم؟ » .

تحاشت النظر إليه هذه المرة وأجابت : « إذا كان هذا ما تريده » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وضع جيد يدا تحت ذقنها ليرفع وجهها وقال لها بجزم: « سوف نتحدث يا ميغ نتحدث بشكل جدي » .

استطاع أن يقرأ في مُحَياها مجدداً ذعراً كالذي استحوذ عليها منذ قليل عندما سألته عما دار بينه وبين صونيا من حديث وفي الحال استاء لتحيرة وتوقه مجددًا لمعرفة سبب ذلك الذعر .

سكوت . . . إنه سكوت ، كان واثقًا ، لكنه لم يعلم كيف .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هل تثق به ميغ وتبالي بأمره بما يكفي لتخبره هذا السر .

لكن هذا القلق وهذا الذعر لم يظهرا عندما اجتمعوا لتوزيع الهدايا الموضوعة تحت الشجرة حيث استمتع سكوت بلعب دور بابا نويل إذ كان جده يعطيه الهدية تلو الأخرى ليسلمها إلى صاحبها .

لم تكن هذه العادة رائجة في عائلة جيد التي توزع الهدايا كلها صباح عيد الميلاد .

وفيما انتقلت ميغ لتجلس بعيداً عن جيد قدر الإمكان ، متفادية أن تتلاقى نظراتهما إذا صدف أن نظر تاحيتها ، وقد حدث هذا مرارًا ، بدا أن سكوت يستمتع بوقته إذ تلقى العدد الأكبر من الهدايا ، معظمها من والدته ، فضلاً عن جرّار وعربة يركب عليهما من جديه .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لكن جيد كان واثقاً من أن دايفيد هو مَن اختار الهدية إذ ربما ليس لدى ليديا أي فكرة عن آمال وأحلام صبي في الثالثة من عمره .

وتلقى جيد بدوره هديتين ، زجاجة عطر من صونيا وجيريمي ، والطبعة الأولى من كتاب من دايفيد وليديا . شكرهما جيد وهو واثق مرة جديدة من أن الكتاب من اختيار دايفيد .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أما الهدايا التي تلقتها ميغ من عائلتها فكانت مفاجئة أيضاً نظراً للاستقبال البارد الذي لقيته البارحة . كانت إحداها مجموعة من الزيوت العطرية من صونيا وجيريمي ، وكنزة رائعة من الكشمير بلون عينيها من والديها . شكرتهما ميغ فيما قالت والدتها وهي على مسافة منها : « اصطحبت معي والدك إلى المتجر ليختار لك اللون المناسب » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بقيت هدية واحدة صغيرة لم تُسلم بعد .
كانت ابتسامة سكوت خجولة وهو يتقدم نحو جدته . شعر جيد بانقباض عضلات معدته وهو يرى التشنج المفاجئ يكسو وجه ميغ التي حركت يدها قليلاً وكأنها تريد ردع سكوت ، لكن يدها عادت إلى مكانها بعد أن غيرت رأيها .
استدار جيد سريعاً لينظر إلى ليديا راجيا ألاَ تجرح الصبي الصغير الذي هو

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حفيدها مهما بلغت تفاهة الهدية التى يحملها .

بدت ليديا مرتبكة عندما وقف سكوت أمامها حاملاً هدية قام على ما يبدو بلفها بِيديه الصغيرتين اللَتَينَ تُعوزهما البراعة . قالت بصوت متقطع وهي تحت وطأة المفاجأة : « لي أنا ؟ لكنني ظننت أنك ووالدتك ستقدمان لي زجاجة من عطري المفضل ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كانت هذه أطول جملة وجهتها ليديا دفعة واحدة لسكوت منذ وصوله .

ورأى جيد ميغ وهي تحبس الدموع في عينيها وقد حركت يدها مرة أخرى باتجاه ابنها سعياً لتدارك الموقف . لكن والدها تدخل هذه المرة فوضع يده على ذراعها وهز رأسه قليلاً فيما استقرت نظراته على زوجته . أحسن جيد بتوتره يزداد وانتقل ليقف قرب ميغ وهو يدرك ما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تشعر به ، وما تخشاه : أن يصدر عن ليديا أي قول أو عمل قد يجرح مشاعر سكوت . . . عزم جيد على خنق المرأة بنفسه إذا أقدمت على ذلك . أومأ سكوت برأسه والابتسامة الخجولة لا تزال على شفتيه : « هذا ما فعلناه يا جدتي » .

تابع وهو لا يزال يحمل الهدية : « لكننا ذهبنا إلى المتجر واشتريناها ، وأنا قمت بتغليفها بنفسي » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

جف حلق ليديا وانتهت بقبول الهدية

بوجه شاحب تحت مساحيق التجميل .

لاحظ جيد بعد أن نظر إلى كل من في

الغرفة أنهم كانوا يحبسون أنفاسهم بحذر.

كانت صونيا تغرس أصابعها في ذراع

جيريمي المُعْطاة بكنزة صوفية وقد

التصقت به فيما كانت ذراع دايفيد

تسند ميغ التي اتكأت عليه واهنة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

استدار جيد بحدة ينظر إلى ليديا وقد تأهب لأن يثب ويحمل سكوت بين ذراعيه إذا ما حدث أي خطب .

راح سكوت يحادث جدته وهي تفتح الهدية بيدين مُرتجفتين : « قالت ماما إنها تعتقد أنك تملكين واحدة » .

وتابع بحماسة الأطفال وبراءتهم وقد كشف الغلاف عن نجمة ملونة بلون الذهب : « صِمّمت هذه فى روضة

الأطفال خصيصاً لك ، فهل أعجبتك ؟

» .

كانت نجمة مُشوهة قليلاً وبدا جلياً أنها من صنع يدين صغيرتين تفتقران إن الخبرة لكنها كانت في نظر جيد أروع هدية .

إنما هل يُعقل أن ترضي ليديا ، وهي المرأة التي تسعى إلى الكمال بدءاً بشعرها المُّرين وصولا إلى حذائها الأنيق ، تلك الهدية ؟

شعر جيد بيد ميغ على يده ، فشد أصابعه على أصابعها يطمئنها فيما بقيت نظراته مستقرة على ليديا .

لم يحرّك أحد ساكناً أو يتفوه بكلمة فيما راحت ليديا تتأمل تلك الهدية الشخصيّة التي تلقتها من حفيدها . وَأختَذ التوتر يتعاظم شيئاً فشيئاً مع استمرار الصمت .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بدأ صوت سكوت يرتجف قليلاً عندما لم تبد رأيها في هديته : « إنها لشجرة الميلاد » .

نظر جيد من فوق رأس ميغ إلى دايفيد وقد بدا عليه الشحوب وهو يراقب زوجته من دون أن يتحرك من مكانه . لم يحتمل ما يراه . لِمَ لا يتدخل دايفيد ؟ أما من أحد يوقف كل تلك المهزلة ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وفجأة رفعت يدها وقد بدا على محياها
شعور لم يسبق أن رآه جيد عليها من
قبل ، فيما أغرورقت عيناها بالدموع .
خرجت كلماتها على نحوٍ متقطع : « إنها
جميلة . . . فائقة الجمال » .

انهمرت الدموع بغزارة من عينيها
وتركت كرسيها لتجلس على السجادة
وتأخذ سكوت بين ذراعيها وكأنها لا
تريده أن يفلت منها . وأخيرًا ، نظرت
في وجهه وحاولت أن ترسم ابتسامة تُعيد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الثقة إلى حفيدها : « دعنا نذهب الآن لنعلقها على الشجرة » .

نهضت وهى تحمل النجمة فى يد فيما مدت الأخرى باتجاه سكوت .

عادت الحماسة إلى صوت سكوت فقال وهو يمسك بيد جدته : « هل يمكننا ذلك ؟ هل يمكننا حقا ؟ » .

كانت نظرات الجدة مركزة على سكوت وهما يغادران غرفة الجلوس : « بالطبع يمكننا ذلك » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

التفت جيد بسرعة إلى ميغ فرأى الدموع تنهمر على خدّيها قبل أن ترتمي بين ذراعي والدها . بعدئذ ، أسرعت في أثر ذلك الثنائي غير المتجانس . اجتاز جيد الشرفة بخُطى واسعة غير واثق مما سيعقب ذلك ، إلا أنه متأكد من أن أمراً فائق الأهمية سيحدث وعليه أن يشهده بنفسه دعماً لميغ وسكوت معًا .

10– سأقف إلى جانبك

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وصلت ميغ على عجل إلى الرواق ووقفت في الخلف تراقب والدتها وسكوت وهما يدنوان من الشجرة معا . لقد أقلقتها دموع والدتها فهي لم يسبق أن رأت والدتها تبكي طيلة سنوات عمرها السبعة والعشرين ، حتى أنها لم تكن متأكّدة من معنى تلك الدموع . جل ما تعرفه هو أنها لمست سكوت وتحدثت إليه للمرة الأولى . كانت أكثر

www.riwaya.ga مكتبة رواية

من لمسة فقد عانقته وكأنه أثمن ما في العالم !

كانت ميغ متأكدة بالطبع من أنه الأثمن ، لكنها لم تعرف كيف تفسّر تصرف والدتها . استدارت بعض الشيء إذ أحست بوجود جيد قربها يُمعن النظر في والدتها وسكوت اللذين كانا يحاولان تعليق النجمة .

– هل تظنّ أنه يجدر بي الانضمام إليهما ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

همس جيد برقة وقد استدار قليلاً

ليبتسم لها ابتسامة مطمئنة : « لا .

يبدو أن الأمور تجري على ما يرام وهما

وحدهما ؟ » .

كان سكوت لا يزال بين ذراعي والدتها

وقد تراجعا الآن ليستمتعا بما أنجزته

يداهما .

لم تعد النجمة رخيصة كما كانت عندما

أحضرها سكوت إلى المنزل وأصر على

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تغليقها قبل عذة أيام بل بدت الآن

أجمل زينة على الشجرة .

قالت له جدته بانفعال : « إنها رائعة يا

سكوت . . . فائقة الروعة ! شكرًا

جزيلاً لك » .

شعرت ميغ بِأن قلبها ينفطر عندما

شاهدت سكوت يبتسم لجدته ابتسامة

خجولة .

كان هذا مؤشراً إيجابياً . لا بد أن يكون

كذلك .

انبرت والدتها تسألهما من دون أن تستدير لتنظر اليهما : « ما رأيكما يا ميغ وجيد ؟ ألا تبدو نجمة سكوت فائقة الجمال وهي مُعلقة على الشجرة ؟ » .

كان على جيد أن يجيب وهما يتقدمان لينضمّا إلى سكوت وجدته بعد أن اعترى ميغ الذهول لأن والدتها نادتها يميغ للمرّة الأولى : « إنها رائعة » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وراحت والدتها تصفق بحرارة ثم قالت بانفعال : « يا له من ابن طيب حقا يا ميغ لا بد أنك فخورة به جداً » .

قال والد ميغ مُبتسمًا وقد انضم هو وصونيا وجيريمي إليهم في الرواق : « نحن كلنا فخورون به » .

قالت وقد اغرورقت عيناها بالدموع :

«آه ، دايفيد ! » .

أخبرهم سكوت متحمساً وهو يرتمي بين ذراعي جده : « أنا أيضًا أُدعى دايفيد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أحياناً . عندما أتشاجر مع أَمّي تقول لي : « سكوت دايفيد هاملتون ، كان هذا سلوكاً سيئاً ! » .

خفف ضحك الكبار من حدة التوتر ، ما زاد من حيرة سكوت وأحرج ميغ .

قالت صونيا ضاحكة : « دعونا نذهب الآن ونُنشد أغاني الميلاد حول البيانو كعادتنا » .

نظرت ميغ بتعجب إلى شقيقتها التوأم . لطالما كانت صونيا تكره رتابة هذه

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الأغاني ، أو على الأقل لطالما ادّعت ذلك .

رحبت والدتهما بالفكرة بحرارة وهي التي لطالما رأت أن إنشاد أغاني الميلاد أمر ممل : « يا لها من فكرة رائعة ! » .

سألت وهي تتقدمهم إلى غرفة الموسيقى : « أنا واثقة من أنك تعرف أغنية «دقوا الأجراس» ، أليس كذلك يا سكوت ؟ » .

راحت ميغ تسأل جيد وهي منذهلة من تغيّر المواقف : « ماذا يجرى ؟ » . إن السبب في هذا التغير هو هدية سكوت لجدته والتى حاولت ميغ منعه من إحضارها لتأكدها من أن والدتها سوف تصعق من تفاهة الهدية . تلك التفاهة التي تزيد قيمتها في نظر ميغ . لكن ما بقي يُذهلها هو موقف والدتها من الهدية .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أجاب جيد وقد وضع يده برفق على ساعدها يقودها باتجاه غرفة الموسيقى : « لا أعلم ، ولكن لو كنت مكانك ، لا ستمتعت بذلك » .

وهكذا فعَلت إذ أنشد الكل الأغاني والترانيم الميلادية لأكثر من ساعة . كان والدها يعزف على البيانو وقد تحلق الباقون من حوله وهم ينشدون .

وأدهش ميغ أن جيد يملك صوتاً رخيماً إلا أنها كلما نظرت إليه شعرت بخجل .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شديد ، إذ تتذكر كيف استسلمت لمشاعرها في غرفتها وقد منحها ذلك إحساساً لن تنساه .

ومع ذلك ، ادعى جيد أنه لا يريد توريطها وأنهما سيتباحثان في هذا الشأن لاحقاً . ثمة الكثير من المواضيع ليعالجاها أثناء ذلك الحديث .

كما أنهما سيقران بأن أي علاقة بينهما غير منطقية وستكون حكمًا مغامرة عابرة . فقد سبق ولمح إلى أنه يعيش حيثما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تقوده مخيلته بينما جذور ميغ مغروسة في لندن بحُكم عملها وأمومتها لسكوت .

لا ، لا مجال لاستمرار أى علاقة بينهما بعد أن يغادرا . إنها عقدة بلا حل .

لكن وفي تلك الساعة عاشت مفاجآت عديدة مع والدتها التي أصرت على مرافقتهم إلى المطبخ لما حان موعد احتساء سكوت للشاي . كانت ميغ على ثقة من أن هذا أثار دهشة بيسي سايكس أيضاً فليديا لا تدخل المطبخ

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إلا لتتّفق معها على وجبات الطعام .
وها هي الآن تجلس إلى الطاولة الخشبية القديمة تشجع سكوت على تناول البيض المسلوق .
كما صعدت والدتها لتشاهد سكوت وهو يستمتع بالاستحمام ، فلم تستطيع ميغ أن تتمالك نفسها من السؤال بفضول : « أمي ، ماذا يعني أن . . . ؟ »

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قاطعتها والدتها برقة : « ليس الآن يا عزيزتي ميغ . علينا أن نضع سكوت في الفراش أولاً ، من ثم سأتحدث إليكم جميعاً قبل العشاء » .

بدا ذلك نذير شؤم بالنسبة إلى ميغ لكن لم يكن أمامها سوى الإذعان . جلست مطولاً على حافة مريرها بعد خروج والدتها وخلود سكوت للنوم تتساءل عمّا يمكن لوالدتها أن تقوله للجميع .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لكنه زمن الميلاد على أي حال ، ولعله زمن اجتراح المعجزات .

– الكل ينتظر فى الأسفل .

مرة أخرى دخل جيد من المدخل المشترك من دون استئذان ، لكن بعد ما حدث بعد الظهر كان من الوقاحة أن تمنعه من الدخول .

نظرت إليه يائسة : « ماذا يحصل برأيك يا جيد ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هز كتفيه وقال : « أظن أن الثلوج

بدأت تذوب على أكثر من صعيد » .

اتسعت مُقلتاها قبل أن تنهض وتقف

قرب النافذة . كان جيد محقًا إذ بدأت

التلوج تذوب مع ارتفاع درجة الحرارة ،

وباتت الأعشاب الخضراء تظهر هنا

وهناك ما يعني أن جيد سيغادر قريبًا .

هذا ما تريده ، أليس كذلك ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أن يرحل جيد ، وتعود إلى شقتها في لتدن فتعود عجلة حياتها إلى الدوران كما في السابق ؟

لا ، بالطبع لم يكن هذا ما تريده .

أما ما تريده فهي تعلم أنها لن تناله ، لذا عليها على الأقل أن تصون عزة نفسها وكرامتها .

أرغمت نفسها على الابتسام بعد أن استدارت لتنظر إليه ثم قالت : « إنها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أخبار سارة ، أليس كذلك ؟ سوف تتمكن من المغادرة في الصباح » .

رد وقد أظلمت عيناه وبدت على محياه تعابير غامضة : « وأنت كذلك » .

هزت كتفيها وقالت : « لست متأكدة . قد أمدد إقامتي يومين أو أكثر » .

في الواقع ، لم تفكّر في ما تود القيام به بعد هذا اليوم ، لكن إذا ما عقد جيد العزم على الرحيل ، فهذا لا يعني أبداً أن عليها هي أيضاً أن تحذو حذوه .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حتى أن بقاءها هنا لم يكن فكرة سيئة .
سيسعد سكوت لذلك . ويبدو أن
والدتها تغيرت منذ أن قدّم لها سكوت
نجمته ، لذا قد تفكر جديًا بالبقاء .
سيكون الوضع مريعاً عندما سيركب جيد
سيارئه عائداً إلى دياره .
مريع إلى درجة أن ميغ أحسّت لوهلة
بأن ركبتيها ستوهنان . سوف يعود إلى
الكوخ ، وربما حتى إلى نيويوك ، ولن تراه
ثانية . شعرت بغصة في صدرها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وبانقباض في حنجرتها لمجرّد التفكير بالأمر أما الدموع التي كانت تنهمر بسرعة في الأيام الأخيرة فقد أغشت بصرها . أراد جيد أن يطمئنها إذ بدا أنه لم يفهم سبب تلك الدموع : « ستجري الأمور على خير ما يُرام يا ميغ . وأنا واثق من أن حديثك مع والدتك سيغير الحال » .

لعل هذا الجزء من حياتها سيصبح له معنى . بالطبع كانت تأمل ذلك .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لطالما كانت مكتفية بما لديها قبل هذين اليومين ، لا بل أكثر من مكتفية . لكنّها تعلم أن جيد قلب المقاييس ما جعلها تشعر الأن ، مع دنو موعد رحيله ، باليأس يتملكها .

حسنًا ، لن تكون تلك هي المرّة الأولى . وكما استطاعت الصمود قبلاً تستطيع أن تصمد ثانية : «أجل ، بالطبع » .

أومأت برأسها بحركة سريعة وابتعدت عنه إذ بدا أنه يقترب منها ليعزيها ويهدئها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فلو قام جيد بلمسها لانهارت كلياً وقد صممت على عدم السماح بذلك : « إذا أردت أن تنزل إلى أسفل ، فسأوافيك بعد بضع دقائق » .

رفع حاجبيه الداكنين وسألها : « لن تقومي بتبديل ملابسك وارتداء ذلك الفستان الأسود ، أليس كذلك ؟ » .

اتسعت مُقلتاها فهي لم تخطط لذلك ، بل حضرت فستاناً أحمر لترتديه في هذا المساء ، وسألته « لمأذًا ؟ » .

هز جيد بكتفيه وقال بابتسامة ساخرة :

« بدوتٍ مثيرة في ذلك الفستان ! » .

شعرت ميغ بوجنتيها تحمران أمام ذلك الاعتراف وأكدت له : « لا ، لن أرتدي الفستان الأسود هذا المساء » .

على أى حال ، كان الفستان الأحمر يبرز جسمها أكثر من الفستان الاسود .

– حسنًا ، كنت أتساءل بمًا أني لست فردا من العائلة . . . في الوقع كلانا يعلم أنني لست سوى رجل غريب . . .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إذا كان من الأفضل ألا أوافيكم إلا في وقت متاخر ؟

كان تردده في محله . قد لا تدرك عائلتها ذلك ، إلا أنه ليس سوى مجرد متفرج بريء ، أجبر على لعب هذا الدور .

تسلل إلى وسطهم بعد أن حاصرته الثلوج .

إلا أنها سوف تفتقده إلى جانبها ، وهي تعلم أنها اعتادت على دعمه الصامت لها طيلة الأيام الأخيرة . وهذا ليس

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بالامر الجيد ، لا سيما وأنها لا تستطيع أن تعتمد سوى على نفسها عادة .

علماً آنها تشعر أنّ هذا يمكن أن يتَغير لو أرادت ذلك .

وهي لا تستطيع أن تنكر أن استعادة محبة عائلتها مجدداً أمر رائع لكن جيد هو الرجل الذي أحبت .

أرغمت نفسها على الأبتسام له لتُطمئنه :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– طبعاً . سأقول للجميع إنك تعمل .

أنا واثقة من أنهم سيقدرون الوضع .

وقد يكون كلامها صادقًا ، فهى متأكدة من أن جيد عمل على كتابه بعد ظهر هذا اليوم .

– لعلك تود الذهاب إلى المكتبة والاتصال بعائلتك ؟

وراحت تشجعه عندما لاحظت صمته :

« أنا واثقة من أنهم سيسرون لسماع صوتك » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كانت تتكلم بعد أن استمر ذلك الصمت فهي لم تفهم سبب هدوئه المفاجئ ، إذ لم تعهده طيلة فترة تعارفهما مربوط اللّسان . لعله يفضل الرحيل الآن فقد ذابت الثلوج بما يكفي لتصبح الطرق الرئيسية سالكة ، كما أن المسافة التي تفصل البيت عن الكوخ لا تتعدى العشرة أميال .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أجل ، قد يكون هذا هو سبب صمته . لم يكن جيد يعلم ، وسط تسارع الأحداث ، كيف سينقل لها خبر رحيله . قالت له بوجه باسم فيما قلبها ينفطر ألما لمجرد التفكر بالأمر : « إذا أردت الرحيل الآن ، فأنا واثقة من أن أحدًا لن يعارض » .

أجاب بلهجة قاسية : « شكراً يا ميغ . كلامك هذا يجعلني أشعر بأني مرغوب في هنا » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مرغوب فيه ؟ ليته يعلم !
وعلى الرغم من أن تعليقها أغاظه إلا أن كل ما تفوهت يه حتى الساعة لم يبدُ لها صحيحًا هى أيضًا .

حاولت أن تمازحه : « هيا يا جيد ، اعترف بأنك مسرور بتوديع عائلة هاملتون » .

لم ترتسم على وجهه الابتسامة بل أجابها بجفاء : « كان الوضع هنا مختلفاً بالتأكيد » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أراهن على ذلك .

كانت صادقة في مزاجها هذه المرة وراحت تتخيل ما كانت لتشعر به لو أنها مكانه تجلس بهدوء في الكوخ ، تركز على أعمالها الخاصة ، ليصطدم أحدهم فجأة بجدار الكوخ . وقد شاء القدر أن تكون أما وحيدة برفقة ابنها الصغير ، فعرض عليهما في محاولة يائسة لاستعادة عزلته ، أن يوصلهما إلى منزل العائلة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فلم يجن من ذلك كله سوى التَوَرّط في مشاكل الأسرة العاطفية .

لا عجب في أنه يود الرحيل .

أضافت بعزم في محاولة منها لحبس الدموع التي هددت بالانهمار : « أظن أن الوقت حان لتبديل ملابسي .وإلا أرسلت العائلة دورية تفتيش . فات الأوان ! » .

ابتسمت ميغ حين دُق باب غرفتها برقة ليدخل والدها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

دعاهما بلطافة علماً أن ميغ أدركت من نظراته أنه لاحظ التوتر السائد بينها وبين جيد : « نحن نرتشف مشروباً ساخناً في الأسفل ، فهلا نزلتما لمشاركتنا ؟ »

– لم يتسنَّ لى الوقت بعد لتبديل ملابسى .

أبدى والدها عدم اكتراث بالأمر : « لا تقلقي بهذا الشأن يا ميغ . يقتصر العشاء على بعض الأطباق الباردة ، وأظن أننا أجمعنا على البقاء كما نحن » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

اتسعت مُقلتاها تعجباً من تغيير آخر ، فقد اعتادت العائلة ارتداء الملابش الرسمية لحضور العشاء .

– أعتقد أن جيد سيُؤثر البقاء هنا ومواصلة الكتابة .

تجهّم وجه أبيها الذي نظر بإمعان إلى الرجل الشاب : « لا ، لن يحصل ذلك . لن يحصل ذلك على الأطلاق » .

لم تفلح ميغ في قراءة الكلمات الصامتة التي تبادلها الرجلان ، والتى جعلت جيد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يهز كتفيه ويعلن أنه غير رأيه بعد أن أغرته الدعوة إلى أرتشاف المشروب الساخن .

– ولكن . . .

علّق والدها بلهجة ساخرة : « اتركي الرجل يفعل ما يحلو له يا ميغ » .

نظرت إليه نظرة اعتذار وهم يتوجهون إلى الأسفل ، فقابلها جيد بنظرة تشجيع صامتة لم تعمل إلا على مضاعفة الألم في صدرها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كانت ترجو ، رأفة بجيد إن لم يكن بها شخصياً ، أن يتسنى له الرحيل في الصباح . وضع جيد يده برفق على ذراع ميغ ضاغطاً عليها قليلا وهما يتبعان والدها إلى غرفة الجلوس حيث اجتمع بقية أفراد العائلة . أزعجته ميغ قبل قليل عندما قالت له إن بإمكانه الرحيل لكنه كبت غيظه لعلمه أن المهم الآن ليس مشاعره الخاصة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ولكن هذا لا يعني أنه ليس غاضبًا ، أو متألماً من تلهف ميغ الواضح إلى رحيله . سار خلفها حتى اختارت كرسياً بعيداً قليلاً عن سائر أفراد العائلة فجلس بقربها في حين جلب لهما دايفيد كوبين من الشراب . نادتها والدتها بصوت أجش وهى تشير إلى المكان المجاور لها على إحدى الأريكتين الموجودتين في الغرفة : « تعالي واجلسى هنا يا ميغ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تقدم جيد وميغ لينضما إلى دائرة العائلة ، فجلست ميغ على الأريكة وجيد على السجادة إلى جانبها وأمل جيد أن تحمل مناداة ليديا ابنتها بالاسم الذي تفضله معنى ما . أمل ، رأفة بميغ وسكوت ، أن يذوب الجليد بين ليديا وابنتيها .

ابتسمت ليديا ابتسامة مترددة : « أود في البداية أن أشكر زوجي العزيز دايفيد الذي يفوقني ذكاء والذي بفضله

اجتمعنا كلنا لقضاء هذا العيد الرائع . أشكرك يا دايفيد » .

تابعت ليديا بانفعال : « من ثم أشكر ابنتيَّ الحسناوتين : حبيبتي صونياء الفاتنة والبارعة . وميغ . . . » .

حبس جيد أنفاسه في انتظار ما ستقوله عن ابنتها الصغرى . ففي نظره ، ميغ هي الأجمل بين ابنتي ليديا التوأم ، فجمالها الداخلي ينعكس على وجهها

إلا أنه لم يعرف ما إذا كانت .ليديا قادرة على رؤية ذلك .

استذارت ليديا ناحية ابنتها والمشاعر تتأجج في عينيها : « حبيبتي الغالية ميغ » .

ثم تابعت بصوت مرتجف : « وأنا فخورة بك يا ميغ . فأنت قاتنة ودافئة ونبع من المحبة ، وأمٌ رائعة لسكوت ، أظهرت من حس الأمومة ما عجزتُ عن تقديمه لابنتيَّ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شعر جيد ببعض التوتر يزول عن كتفيه غير عالم بما سيأتي بعده ولكنه أصبح واثقاً من أنه لن يجرح مشاعر ميغ .

وراح يتذكر ما تفوهت به ليديا الآن .

إنّها فاتئة ودافئة ، أحبت عائلتها بالرغم من جفائهم لها ، وأظهرت حبًا خالصًا لابنها لا يجسر أحد على إنكاره .

كان يأمل شيئاً واحداً ، وهو أن تحبّه بالطريقة ذاتها . لكن ، وعلى الرغم مما جرى بينهما في وقت سابق ، فإن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

اقتراحها عليه الرحيل الليلة لم يكن مؤشراً حسناً . على أي حال إن استطاعت ميغ أن تُعيد اللحمة مع عائلتها فسيفرِح من أجلها ، وسيتسنى له الوقت لاحقًا

لَلَمَة جراحه بعد آن يصل إلى الكوخِ .

تابعت ليديا بنبرة مترددة وقد مدت يدها لتمسك بيد دايفيد الذي وقف إلى جانبها لدعمها : « حسنًا ، لقد تكلمنا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أنا ودايفيد مُطولاً وقررنا إعلا كم يما يلي . . . » .

قال دايفيد بصوت قوي : « حسناً يا ليديا ، سأقوم بذلك . سنتحدث عن ابنا المحبوب والمرحوم جايمس دايفيد » .

شعر جيد بالدهشة تتملك ميغ ، وفهم بعد أن ألقى نطرة خاطفة على وجه صونيا الشاحب أنها هى أيضًا فوجئت بهذا الخبر تمامًا كميغ .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هل لدايفيد وليديا ابن ؟ تأكد الأمر لجيد بعد أن شاهد المشاعر المرتسمة على وجه ليديا .

لم تنظر ليديا إلى أي منهم سوى إلى يدها المشدودة بإحكام في يد دايفيد .

كانت صونيا هي من تكلمت أولاً : « ماما ، لا أفهم » .

نظرت ليديا إلى ابنتها وعيناها مُغرورقتين بالدموع : « كان علينا أن نُخبركما أنت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وميغ مئذ سنوات . لقد رغب والدك بذلك ، إلا أنني رجوته ألا يفعل » .

تنهدت بعمق وأخذت تشرح لهما بانفعال : « قبل ولادتكما بسنتين أنجبت ابنًا ، صبيًا صغيراً وجميلاً ، اسميناه جايمس دايفيد ، لكنه لم يعش سوى أسبوعاً واحداً . وُلد قبل أوانه وعلى الرغم من أن الأطباء

بذلوا كل ما بوسعهم ، إلا أنه فارق الحياة » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بدا واضحاً لجيد أن الألم الناتج عن تلك الخسارة ما زال يفتك بهذه المرأة .

لم يجسر حتى على تخيل ما يعنيه أن يُرزق المرء بطفل ثم يفقده أمر مريع يفوق كل تخيل ، ولا يقوى العقل البشري على استيعابه . وقد أدرك ، من خلال الألم البادي على وجه ميغ أنها تقدّر تلك المشاعر

أكثر من غيرها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تنهدت ليديا ثانية واستجمعت قواها ثم أضافت : « عندما اكتشفت بعد مرور سنة أنى حامل مره جديدة ، وبتوأم هذه المرة ، لم . . . اعتقدت أنني لن أتمكن من تخطي الأزمة ، وأني عاجزة عن تجرع هذه الكأس المرة مرة جديدة . وعندما أبصرت ابنتانا النور ، وقبل أوانهما أيضًا ، أصبت ببساطة بفتور عاطفى ربما لأحمى نفسى من الألم » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أمسك جيد بيدها بإحكام لما رأى كيف راحت ترتجف على نحو مًريع . ولا عجب في ذلك فمجرد أن يعلم المرء أنْ له أخ لكنه فارق الحياة بعد أسبوع وأحد من ولادته أمر كفيل بأن يفقده صوابه . وقد أدرك الآن أن عقدة ليديا كانت خوفها من التعلق بابنتيها خشية فقدانهما يومًا ما.

تابعت ليديا بنعومة : « ولكي يزداد الأمر سوءًا ، خرجت من المستشفى فى

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حين بقيتما أنتما لبضعة أسابيع لأنكما كنتما صغيرتين جدًا . كان ذلك . . . لا أقوى حتى على وصف مشاعري حينها . ومرة جديدة ، عدت إلى المنزل من دون أن أحمل طفلاً بين ذراعي . ومع أننا كنَا نقضي كل يوم معكما في المستشفى إلا أن الأمر لم يكن سيان » .

وهزت برأسها شاحبة الوجه .

أدرك جيد أن شعور الأمومة ، التي كانت هذه المرأة بحاجة ماسة إِليه ، انعدم لديها بكل بساطة .

ثم أردفت بهدوء وقد أطلقت العنان لأفكارها مستذكرة الكابوس الذي خيم على حياتها : « عند عودتكما إلى المنزل ، كنت . . . لم أكن في حال جيدة ، فاعتنى والدكما بكما . لكن بالطبع ، لم يكن بالإمكان أن يستمر هذا الوضع إذ اضطر للعودة إلى العمل في حين أنني . .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

. كنت ببساطة شديدة العياء حينها بحيث لا أقوى على الاهتمام بكما . أوكلنا أمر العناية بكما إلى مربية فخرجت من حياتكما أكثر فأكثر . لم تكن المشكلة أنني لم أحبكما . إطلاقاً إنني فقط . . . » .

سحبت ميغ يدها من يد جيد لتتوجه نحو والدتها وتعانقها في وقفة دعم لها : « كم كان ذلك مريعاً بالنسبة إليك . كان مريعاً للغاية » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وعبرت صونيا الغرفة على عَجل لتشاركها العناق ، فيما بقي الرجال واقفين وقفة المتفرج وقد أيقنوا أن تلك اللحظات الآن تعني هؤلاء النساء الحسناوات الثلاث دون سواهن .

سارعت ليديا تقول بانفعال يجب أن تكونا على يقين بأنني أحبكما ، ولطالما أحببتكما . كنت فقط أخشى أن أظهر هذه المحبة ، ضعفاً مني » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أكدت لها ميغ بحزم : « لست كذلك . أنت أقل النساء اللواتي عرفتهن ضعفًا »

.

لامست ليديا خذها برفق : « كنتما طفلتين جميلتين جداً لكن هاجسًا دائمًا تملكني وهو خوف لا مُبرر له » .

وهزت رأسها وهي تضيف : « وقد قرر دايفيد ، عزيزي دايفيد ، بعد أن أصيب بالذبحة أن يغير مجرى الأمور . كان لا بُدَ لتلك الأمور أن تتغير . لكنني مع ذلك

عارضته ، وكنت مخطئة جداً . وبسبب ما كنا عليه من تباعد في هذه العائلة ، قررت ميغ أن تكتم خبر ولادة سكوت لما يناهز الستة أشهر ، وحتى بعد ذلك بقيت بعيدة عنا بدلاً من أن تسمح لنا بتقديم يد العون لها. لن أغفر لنفسي هذه الخطيئة » .

هل اختارت ميغ مفارقة أهلها من تلقاء نفسها منذ أن أنجبت سكوت ؟ لم يكن هذا هو الانطباع الذي تولد لديه ،

www.riwaya.ga مكتبة رواية

والذي تعمدت ميغ تركه لديه . لكن لماذا آثرت ميغ الابتعاد ؟ فعلى الرغم من كل الفتور العاطفي الذي أبدته ليديا إلا أنهم عرضوا عليها المساعدة على ما يبدو .

تجهم وجه ليديا وهي تقول : « لو لم يصر والدك على دعوتك للاحتفال بعيد الميلاد ، لبقينا متباعدتين . لطالما ساعدني والدك طوال تلك السنوات ، فكان يراقب ما يجري مقدماً المحبة لي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ولابنتيه وهو يتوق ليجمع شملنا مجدداً .

ورغم جهوده لكي يعيدني إلى صوابي إلا أنني أبقيتكما على مسافة مني منذ وصولكما . أما سكوت ، عزيزي سكوت . . . » .

كان صوتها يرتجف مُثقلاً بالمشاعر: « فعلى الرغم من كل المحاولات التي قمت بها لمقاومته ، لمقاومة محبته ، إلا أنه كسر القيود والحواجز التي أقمتها بيني وبينكما

» .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وارتسمت على شفتها ابتسامة مرتجفة :

« إنة وسيم جدا تمامًا كما تَخيلت جايمس في عمره » .

وتوقفت عن الكلام ولم تستطع أن تكمل لشدة تأثرها .

شعر جيد بأنه دخيل على ما تُفضيه هذه المرأة من أحزان قلبها .

واستطاع أن يقرأ قي ملامح جيريمي أنه يشاطره الشعور نفسه . إنها لحظات خاصة بهؤلاء النساء الثلاث دون

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سواهن . أمَا دايفيد ، الذي دعته ليديا للانضمام إلى دائرتهنَ ومعانقتهن ، فقد كان العنصر الرابع والاخير في هذه الدائرة .

نظرت ليديا إليهم قائلة : ستنقلب الامور الآن رأسًا على عقب . سأصبح شخصاً آخر ، إذا سمحتم لي . . . » .

راحت ميغ تدعم موقفها وهى تبتسم ابتسامة مُرتجفة : « حسنًا ، بالطبع

سنسمح لك . أنت والدتنا ، بحق السماء » .

عانقت صونيا ليديا قبل أن تهمّ بالجلوس : « بالطبع أنت كذلك وبما أن الوقت وقت تبادل الأسرار . . . . » .

قاطعتها ميغ بحدة : « صونيا » .

أكدت لها صونيا بنبرة واثقة : « لا تقلقي يا ميغ . تكلمت مع جيريمي و. . . » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وفجأة وقفت ميغ وانتفضت غاضبة وقد ازداد اخضرار عينيها وشحوب وجهها :

« لا ، لست موافقة » .

تنهدت صونيا : ميغ ، يتوجب علي ذلك » .

حملقت ميغ في شقيقتها التوأم وهي تشد على ذراعيها : « لا ليس واجبا عليك . إنه عهد بيني وبينك ، عهد حفظته ولن أدعك تنكثين به » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

نظر جيد إلى المرأتين وكذلك فعل ليديا ودايفيد ، وقد تملكتهم الحيرة بشأن ذلك العهد الذي تتحدثان عنه . أيًا يكن ذلك العهد ، بدت ميغ على استعداد لاستخدام العنف فى سبيل الحفاظ عليه .

مدت صوئيا يدًا وكأنها تتوسل إليها : « ميغ ، يا عزيزتي . . . » .

تراجعت ميغ وهى ترفض لمس تلك اليد زثارت ثأرتها حتى كادت أنفاسها تنقطع

www.riwaya.ga مكتبة رواية

: « إذا فعلت ذلك يا صونيا ، فلن أسامحك ما حييت » .

بات وجه صونيا الآن شاحبًا على غرار وجه شقيقتها التوأم وأنزلت يدها ببطء :

« لا أريد أن أجرح مشاعرك يا ميغ » .

أجابت ميغ بازدراء : « ألا تريدين ذلك ؟ لديك أسلوب غريب جداً في إظهار ذلك » .

أصرّت صونيا بحزم : « لا عليك يا ميغ . شرحت الأمر لجيريمي وهو يتفهم الوضع » .

استشاطت ميغ غضباً : « لا أبالي إن كان يتفهم أم لا أنا لا أفهم . هل تسمعينني ؟ لن أسامحك على هذا الأمر إطلاقاً » .

استدارت وفرت هاربة من الغرفة مخلفة وراءها صمتاً مهولا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كان جيد أول المبادرين فتحرك بخطىً واسعة وبوجه متجهم ليذهب في أعقاب ميغ من دون أن يفهم ما يحصل . لكنه كان يعلم أمرًا واحداً فقط وهو أن ميغ تمر بمحنة وعليه الوقوف إلى جانبها .

11– أحمل هشدية

كانت ميغ تُلقي بأمتعتها داخل الحقيبة عندما شعرت بجيد يدخل إلى غرفتها ،

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فلم تكلف نفسها عناء النظر إليه لأنها تعلم أمراً واحداً وهو أن عليها أن تغادر الآن . ستطلب سيارة أجرة وتوقظ سكوت لبتتعد من هنا بأقصى سرعة ممكنة ولا تعود أبداً .

أطبقت يدّيها بإحكام على السروال الذي ستضعه في حقيبتها وهي تشعر بالألم .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أن تتصالح آخيراً مع والدتها وتفهمها بعد هذه السنين هو أمر ظنته مستحيلاً

.

لكن ما تنوي صونيا القيام به سيجعل المصالحة بين أفراد العائلة أمراً مستحيلاً

.

سألها جيد برقة وهو يقف وراءها : « ماذا يجري يا ميغ ؟ » .

ماذا يجري ؟ صونيا على وشك أن تمزق حياة ميغ إربًا إربًا . . . هذا ها يجري .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ميغ ؟

استدارت ناحيته بشراسة وقد امتقعت وجنتاها : « هلا تركتني وحدي ؟ » .

بدا العبوس والتحيّر على وجهه : « أحاول أن أفهم » .

ردت بنبرة تحدٍّ مرير : « لماذا ؟ سترحل غدًا يا جيد ، فِلم تحتاج لأن تفك الغاز هذه العائلة المتفككة ؟ » .

أجفل جيد بعد أن سمعها تردّد كلاماً أتى على لسانه في السابق : « سبق أن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سألتك هذا مرة : ما السر الخطير الذي تتشاطرينه مع صونيا وقد أقصاكما الواحدة عن الأخرى وجعلك تبتعدين عن عائلتك؟ » .

نظرت إليه : « لا أظن أن هذا من شأنك » .

رد بلهجة متوترة : « أسعى لأن يصبح ذلك من شأني » .

أجابت بنبرة ، تحدّ : « وأنا أرفض الأجابة » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

توقف جيد فجأة عن الحركة وراح ينظر إليها بتمعن : « لماذا؟ » .

ولما لم تجب ، أضاف بنبرة ناعمة : « الأمر يتعلق بسكوت ، اليس كذلك ؟ » .

شعرت ميغ بوجهها يشحب رغم أنها أبت أن تبعد نظراتها عنه . لقد رأتة في وقت سابق من هذا النهار يتأمل سكوت ليخمن السر وتمكنت من أن تحوّل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

انتباهه ، وهي لا تنوي الآن أن ترضي فضوله .

قال عابسا : « هل تشاجرت مع صونيا بسبب والد سكوت . هل هذا هو الموضوع ؟ » .

نظرت ميغ إليه نظرة حائرة : « ماذا ؟ » .

– هل تورطت معه ومن ثم اكتشفت أن صونيا تورّطت معه هَي الأخري ؟

سكت حين راحت تضحك وازداد وجهه تجهمًا وعبوسًا : « أحاول أن أتكلم بجدية ، ما المضحك في الأمر بحق الله ؟ » .

لا شيء . ما من شيء يدعو إلى الضحك فى هذِا الموقف . بيد أن جيد كان بعيداً كل البعد عن الحقيقة حتى بدا الأمر مضحكًا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كان ضحكها هستيريًا يخلو من المرح وقد ترافق مع سيل من الدموع المنهمرة على خديها .

ورأى جيد سكوت يتقلب في فراشه منزعجاً ، فهمس وهو يقبض على ذراع ميغ قاطعاً أمامها أي فرصة للممانعة :

« دعينا نتوجه إلى الغرفة الثانية » .

ودفع بها إلى الغرفة الملاصقة وأغلق الباب وراءه بهدوء .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بدأت دموع ميغ تنهمر على خديها بغزارة ، كانت دموعاً حارقة تحول معها غضبها إلى يأس .

كيف تمكنت صونيا من القيام بذلك ؟ كيف خطر في بالها أن تخبر جيريمي الحقيقة ؟ لكن الأمور لن تمر بسلام . من المستحيل أن تستسلم ميغ من دون مقاومة ، وقد يؤدي ذلك إلى تقطع أوصال هذه العائلة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ألح جيد وهو يهزها بروية : « أخبريني يا ميغ . بالله عليك أخبريني » .

هزت برأسها وكادت الكلمات تخنقها : « لا أستطيع . قطعت وعدًا بألا أخبر أحدًا » .

راح يذكرها بكلام رقيق : « لكنه وعد لم تعد صونيا ترغب في الحفاظ عليه » .

رفِعت ميغ نظرها إليه والألم يمزق أحشاءها : « كيف يمكنها أن تفعل ذلك ؟ » .

وراحت تهز برأسها بسرعة : « كيف أمكنها أن تفكر حتى بـ. . . . » .

جلست وهي تغطي وجهها بيديها وتئن من شدة الألم .

جلس جيد إلى جانبها ووضع يديه على كتفيها : « إذا لم تخبريني ، فأقسم بأنني سأنزل إلى الأسفل وأسال صونيا عن الحقيقة » .

هزت برأسها وهي ترفع نظرها إليه وعلامات اللوعة بادية على وجهها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أنزل جيد يديه عن كتفيها : «أرجوك يا ميغ كيف عساي أساعدك إذا لم أعلم ماذا يجري؟ » .

هزت برأسها : « لا يمكنك مساعدتي » .

وأضافت بِتبلد : « لا أحد يقدر على ذلك » .

ثم ابتسمت ابتسامة ساخرة قبل أن تسأل : « ولِمَ عليك القيام بذلك فشأننا لا يعنيك » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قاطعها بصوته الأجش : « أنت تعنين لي الكثير. وسكوت يعني لي الكثير. وإذا حاول أحدهم إلحاق الأذى بكما ، فسوف . . . » .

قاطعته ميغ بعدم مبالاة : « أنت ، ماذا ؟ قد تكون جيرود كول صاحب الثروة والشهرة ، إلا أن أموال الدنيا لا تجعل ما تقوله صحيحًا ».

www.riwaya.ga مكتبة رواية

نهض سريعاً وهو يحدق في وجهها وقال بصوت خشن : « ها هي ، لقد وجدتها » .

وأضاف بنبرة قاسية : « سأنزل إلى الأسفل واتحدث إلى صونيا . لا أظنّ أنها ستمانع مثلك في إخباري الحقيقة » .

راحت ميغ تراقبه وهو يتقدم بسخط نحو الباب فانقبض قلبها إذ أيقنت أنها لا تريده أن يرحل وأنها لن تحتمل إذا تركها الآن ومضى .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قالت ببرودة تامة فيما استدار جيد ببطء ليواجهها : « سكوات ليس ابني » .
ثم كررت بقلب مفطور: « سكوت ليس ابني » .
حملق جيد فيها بصمت وقد ارتسمت على وجهه تعابير غامضة .
نهضت ميغ هائجة ومضت تحكي من دون أن تنظر إلى جيد : « بعد أن حصلت صونيا على الشهادة التي تخولها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ممارسة مهنة المحاماة تورطت مع أحد المتدرجين في مكتب المحاماة ، وكان متزوجاً من ابنة رب العمل . طبعا يمكنك أن تحزر ما حدث بعد ذلك » .

أجاب جيد : « وجدت صونيا نفسها حاملاً » .

تنهدت ميغ : « أجل . كنا حينها نعيش في شقة واحدة في لندن . وعندما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أخبرتني صونيا عن الطفل وعن نيتها في عدم الاحتفاظ به أصبت بالهلع » .

بالكاد تمكنت من أن تبتلع بريقها وهي تضيف : « أقنعتها بالحفاظ على الجنين وتعهدت بأن أساعدها وبألاً أدعها وحيدة . كنت مقتنعة بأنها بمجرد أن تنجب الطفل سوف تحبه » .

همس برقة : « لكنها لم تفعل » .

ابتعدت ميغ وراحت تستعيد ذكرى الليلة التي أمضتها في المستشفى حين

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وُلد سكوت وكيف تخلت شقيقتها عنه
رافضة حتى أن تحمله ، فكانت ميغ هي
من تحمل المولود الجديد بين ذراعيها
وشعرت بحبٌ عارم يغمرها وهي تنظر
إليه .
لكنها بقيت مقتنعة بأن صونيا ستغير
رايها وأن المسألة لا تتطلب سوى أن
تتخطي صدمة الولادة لتدرك شقيقتها
أنها تحب طفلها الوسيم ، تمامًا كما تفعل
ميغ . ولم يحصل ذلك . أوكلت العناية

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بسكوت إلى ميغ بعد أن خرجا من المستشفى فيما واصلت هي عملها ، في مكتب آخر للمحاماة ، وكأن سكوت ليس موجودًا . وبعد مضي ستة أشهر أعلنت أنها تعرفت إلى جيريمي وأنها تنوي الزواج به .

بفى مستقبل سكوت مسألة معلقة تحتاج إلى حسم.

لم تحمل ميغ سكوت في أحشائها ولم تلده ، بيد أنها أثبتت وبكل الوسائل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الأخرى أنها والدته . فقد أحبته ، ودللته ، واعتنت به ، ولعبت معه ، وضحكت معه وقد أمضت أوقاتاً ممتعة برفقته وكان حبها له عارمًا .

شكل إعلان صونيا نيتها الزواج ضربة موجعة لميغ إذ قد يعني هذا أنها ستفقد هذا الطفل الجميل .

لكن لم يكن هناك من داع لقلقها ، فقد أكدت لها صونيا أنّها لن تصطحب سكوت معها وأن بإمكان ميغ الاحتفاظ

www.riwaya.ga مكتبة رواية

به إن أرادت شرط أن تعد بألا تُخبر أحدا أنه ليس ابنها .

ولم تنكث بوعدها بل اختارت الابتعاد عن ذويها لأنها لم تشأ أن تكذب عليهم . وتوترت علاقتها بصونيا طيلة الأعوام الثلاثة الأخيرة .

فلم يشأ أي منهما أن يعلم الناس من هي والدة سكوت الحقيقية .

فصونيا تخشى أن تخسر جيريمي إذا ما علم الحقيقة في حين تخشى ميغ أن تفقد سكوت .

ولم تأبه ميغ للتضحيات التي قدّمتها فسكوت كان بمثابة ابن لها . هو حقا ابنها الذي لو تلده .

لم تكن مستعدة لأن تتخلى عنه الآن لمجرد أن ضمير صونيا استفاق في وقت متأخر .

أكدت ميغ بعزم ثابت : « لا ، لن تفعل لن تسلبتي إياه الآن » .

حملق جيد فيها وقال : « أتظنين أنْ هذا ما تود القيام به ؟ » .

رفعت حاجبيها : « ألا تظن ذلك ؟ » .

رد بعد برهة من التفكير : « لا ، لا أظنّ ذلك » .

قالت ميغ والمرارة تقطر من وجهها الحزين : « لكنك سمعتها ، لقد تباحثت في الأمر مع جيريمي » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

صحح جيد ما قالته بلهجة صارمة : «

قالت إِنها أخبرت جيريمي عن سكوت .

ولم تقل إنْها ستسلبك إياه . فضلاً عن

ذلك ، هل تظنين حِقّاً أن والديك

سيقفان مكتوفي الأيدي إذا ما فعلت

ذلك بك وبسكوت؟ » .

– ولكن . . . ؟

إنه مُحق ، كان جيد مُحقاً . لم تُلمح صونيا

إلى أنها تريد سكوت ، بل قالت إنها

أخبرت جيريمي الحقيقة .

وكما وجدت صعوبة في أن تُخبر جيد ، كذلك وجدت صعوبة في تحديد رد فعله

.

إذا كان لديه أي ردّة فعل ، فهو في نهاية المَطاف سيغادر قريباً . ولا بد أنه سَيُسَر لأنه أفلت من قبضة هذه العائلة المتفككة .

ومن يستطيع أن يلومه ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لكن لعله مُحق في قوله إن صونيا لا تريد أن تسلبها سكوت . . . ثمة مُخرج واحد لمعرفة الأمر .

قرأ جيد في وجه ميغ فيض المشاعر المتأججة قبل أن تنهض وتغادر الغرفة ، لكنه بقي جامداً في مكانه بضع ثوانٍ وهو لا يزال تحت وقع ما أخبرته به لتوها .

أي نوع من النساء هي لتربي طفلا لم تشأ شقيقتها إنجابه ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كانت المرأة التي أحب ، والآن أكثر من أي وقت مضى بعد أن عَلِم بكل ما فعلته وبالتضحيات التي قدمتها لتبقي سكوت بين أحضانها . والمُلفت أنها لم تندم يومًا بل كانت لتعيد الكرة إذا ما تكررت الظروف عينها .

إنها امرأة مدهشة لا تعرف الأنانية أبدًا . وهي تستحق كل تقدير .

أراد أن يضمها بين ذراعيه ، أن يحبها ، أن يحميها ، وألا يدعها ترحل عنه أبداً .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أليست تلك عهود الزواج ؟
أيقن جيد وهو فى حال من الذهول أنها كذلك وهذا ما يريده من ميغ الزواج ولا شيء أقل .
لكن الوقت ليس مناسبًا الآن لإخبارها .
أراد أن ينزل في الحال إلى الأسفل ليضمها بين ذراعيه ويقدم لها كل ما تحتاج إليه . لكنه نهى نفسه عن ذلك عالماً بأن الوقت غير مناسب وأن ميغ لم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تعطه الضوء الأخضر ولعلها لن تعطيه إِياه أبدا .

– جيد ؟

استدار ليرى دايفيد هاملتون واقفاً عند مدخل الغرفة وقد بدا الذعر على وجهة الوسيم . سأله بصوت أجش « ميغ ؟ »

.

ايتسم دايفيد بكآبة وقال : « تركنا أنا وجيريمي ميغ وصونيا ووالدهما يتباحثن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

في التدابير التي على ميغ اتخاذها لتبني سكوت رسميًا » .

رفع جيد ناظريه نحو السماء وتنفس الصعداء وهو يستدير باتجاه الرجل العجوز : « ابنتك الصغرى امرأة مدهشة » .

أومأ دايفيد رأسه ثم قال بهدوء : « وكذلك صونيا ، إنما على طريقتها . أن تعرف المرأة وتُقر بأنها تعجز عن لعب

www.riwaya.ga مكتبة رواية

دور الأم كما يجب وأن تتنازل عن طفلها إلى امرأة أخرى أمر بطولي » .

أحقًا ؟ كانت صونيا في الثالثة والعشرين من عمرها عندما انجبت سكوت ، وقد وجدت نفسها وحيدة ، ولا بِدّ أنها خشيت مما يُخبئه لها المستقبل كأم عازبة . لكن هذا لا يمنع من الإشادة بميغ التي لم تتوان عن تحمل مسؤولية طفل لم تُنجبه .

بدا أن دايفيد قرأ بعضاً من أفكاره : « نعم . التوأم ظاهرة غريبة فثمة رابط

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بينهما لا تجده عند سائر الأخوة والأخوات » .

ثم تابع وهو مُقطب : « لطالما كان سكوت ابن ميغ بقدر ما هو ابن صونيا . أتفهم ما أقوله أم يبدو لك هذا كله تافهاً ؟ » .

أجل ، لقد فهم ما كان دايفيد يقوله ولعل هذا صحيح نوعاً ما .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لكنّ جيد وجد صعوبة في التفكير فيما همه الوحيد هو ميغ : « هل تعتقد أنها ستكون بخير ؟ » .

طمأنه الرجل العجوز بثقة : « أجل . سنحرص على ذلك أنا وليديا إذ غدا سكوت عزيزاً علينا جميعاً وهو سيلازم أمه » .

لم يكن لدى جيد شك في أن الرجل العجوز سيلتزم بما قاله وأن ليديا ستحرص على ذلك فهي بكل تأكيد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تعرف معني أنَ يفقد المرء طفلاً عزيزًا على قلبه .

لكنّ هذا لم يمنع جيد من أن يذرِع الغرفة ذهاباً وإياباً من دون كلل أو ملل بانتظار أن تصعد ميغ مجدداً ، فهو يحتاج إلى التكلّم معها لتقول له بنفسها إنها على خير ما يُرام .

وهكذا كان . إذ قرعت باب غرفته وقد بدا عليها الخجل عندما فتح لها الباب .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

رسمت على شفتيها ابتسامة وراحت تقول : « أعتقد أنني مدينة لك باعتذار على بعض الأمور التي تفوهت بها في وقت سابق . إِنها ترهات لا مبرر لها سوى أنني . . . . » .

قاطعها جيد بتلهف وهو يشدها إلى غرفته ويوصد الباب بإحكام وراءها :

– ميغ لم أدنك على أيّ من الأقوال التي سمعتها منك في السابق . وهلا توقفت عن مخاطبتي بتكلف كالغرباء ؟

ثم أضاف بأسى : « ربما كنا غريبين مرة لكني لا أظن أنَنا ما زلنا كذلك » .

عادت تقول : « أنا واثقة الآن من أننا لم نعد غريبين » .

أخذ جيد وجه ميغ بين راحتيه برفق وأخفض نظره وشخص في عِينيها قبل أن يسألها : « والدك يسأل . . . هل أصبح كل شيء على ما يرام الآن » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شع وجهها ابتهاجاً : « سوف أتبنى سكوت وهكذا لن يأخذه أحَدٌ مني قط » .

هز جيد رأسه وهو ينظر إليها : « هل تعلمين . . . هل لديك أي فكرة . . . يا إلهي يا ميغ » .

طوّقها بذراعيه وشدها بقوّة إلى صدره وقال لها وهو يخبئ وجهه في عتمة شعرها الفواح : « أنتِ أروع امرأة عرفتها في

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حياتي . لا أخال امرأة أخرى تفعل ما فعلته » .

ثم راح يهمس متأوهاً : « وأنا أريد . . . أريد . . . » .

وإذ كانت الكلمات تعوزه ، اندفعت تشجعه بصوت عالٍ : « ماذا ؟ » .

لم يدر كيف يُخبر هذه المرأة الفاتنة والرائعة ، التي لم يمض على معرفته بها سوى ثلاثة أيام ، انه يحبها ويريد أن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يقترن بها ، وأن يلازمها هي وسكوت مدى الحياة .

12– امرأة تخيفه

لم ره ميغ طيلة فترة تعارفهما في حالة تلعثم . وقد بدا لها متلعثمًا .

لكن السعادة كانت تغمرها لشعورها بأن حملا ثقيلاً أزيل عن كتفيها بعد أن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أعلنت الحقيقة بخصوص سكوت

ووافقت صونيا على أن تتبناه كأبن

شرعي لها . كان هذا بمثابة حلم بعد

أعوام عاشتها ميغ في قلق من أن تبِدّل

صونيا رأيها في أي لحظة وتُقرر استرجاع

سكوت ,

الآن وقد تبدد ذلك الخوف ، شعرت

ميغ وكأنها قادرة على قهر الدنيا أو على

الأقل جعل جيد يتحدث إليها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سألته بلهجة واثقة : « أخيرنى ، ما الذي تريده يا جبد » .

أجابها بنبرة مصممة : « أريدك أنت يا ميغ هاملتون » .

هي أيضاً تريده ، فالحقيقة حررتها على أكثر من صعيد .

حسنًا إنه كاتب ذو شهرة عالميّة ولديه منازل في شتيَ أنحاء المعمورة ، إِنما هذا لا يعني أنهما لا يستطيعان . . .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ضمها بين ذراعيه وقد بدا على وجهه العزم والتصميم : « لا أعلم ما الذي تفكرين فيه يا ميغ ، لكني أود أن علمك أن نيّتي صادقة تمامًا » .

ماذا يعني ذلك ؟

تابع بنبرة حازمة : « كالزواج مثلاً . والسماح لي بأن أصبح والد سكوت . . أن تصبحي زوجتي لألف عام وعام . . كما في . . . » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تمتمت ميغ وقد بدا عليها الارتباك فهذا آخر ما توقعته : « عمًا تتحدث يا جيد ؟ » .

قال بنبرة قوية : « أود الزواج منك يا ميغ هاملتون . أنا أحبك كما أني بحاجة إليك . أدرك أنك لا تبادلينني بعد هذا الشعور ، لكن امنحيني الفرصة لأفعل ما بوسعي حتى أكسب ودك . أنا أحبك يا ميغ ولن أرحل من هنا بدونك » .

بدا متجهمًا .

حملقت ميغ فيه . جيد يُحبها !

لم تَظنَ هذا ممكناً يوماً فقد كانت على ثقة تامة من أنّه سيغادر في الصباح ولن تراه ثانية . وها هو يقدم لها الشمس والقمر ونجوم السماء في حُبه لها .

هز جيد رأسه ثم تمتم : « كنت أقول فى سري إننى لن اتورّط في أي علاقة . لكنني رغم ذلك كان عليَّ أن أعلم أن هذا ما سوف أُقدم عليه . أعترف أنني كنت فظاً أثناء لقائنا الأول ، وأنا كذلك

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عندما يجف قلمي وإن كان نادراً ما يحدث ذلك . إلا أني لست كذلك في العادة . حسناً ، أحياناً أكون كذلك ولكن ساسعى كي أتغير ، سأحاول جاهدًا » .

قاطعته ميغ وهي تكاد تطير من الفرح لأن جيد يحبها : « كان من الطبيعي أن تغضب في لقائنا الأول عندما اقتحمت سيارتي كوخك » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

صححح لها : « كوخ ناشر أعمالي لكن لم يكن يجدر بي أن أكون عكر المزاج إلى هذا الحد بحضور امرأة شابة وطفلها » .

وهز رأسه قبل أن يضيف : « غير أنك أوقعت الرعب في نفسي . . . ليس عندما اصطدمت سيارتك بالكوخ . بل أنت من أرعبني . لم يسبق لي أن رغبت في امرأة وفي حمايتها في الوقت نفسه ، حتى مني ، إن دعا الأمر » .

هذا رائع وأروع من أن يكون حقيقة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أعلم أنك قلت إنك لا تريدين أي علاقة جدية .

– كان هذا بسبب سكوت . كان لا بد لي أن أخبر أي رجل أحب ويحبني بالحقيقة عن سكوت ولا شك في أنه من الصعب أن يربي الرجل طفل رجل آخر ، فكيف بطفل لم تُنجبه امرأته حتى .

– أنتِ تهتمين به . وأنا لن أقبل بسكوت في حياتنا ، بل سأكون والده

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كما أنت أمه . ماذا عساي أن أقول يا ميغ ؟ أُحب الصبى بقدر ما أحبك .

كان بإمكانها أن تقرأ صدق مشاعره على وجهه فرفعت يدفا ولامست خده الخشن : « جيد ، لا أرى أنك فظ الطباع ، بل رجل في غاية اللطافة ، رجل وقف إلى جانبي كلما احتجت إليه خلال هذه الأيام الثلاثة الأخيرة » .

– لا أطلب عرفانك بالجميل فهذا من أتفه الأمور .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ثم أقر بنبرة حزينة : « ربما علي أن أعمل قليلاً على تحسين طباعي » .

قهقهت ميغ ونظرت إليه : « لا تعمل كثيراً على ذلك فقد لا أتمكن من التعرف إليك حينها لأنني في الحقيقة أحبك يا جيد . أحبك كما أنت وحسب » .

تسمر جيد فجأة وراح ينظر إليها مرتاباً : « أليس هذا ادعاء على شاكلة « لا أستطيع أن أكذب » ؟ » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لا فنحن لا نعرف بعضنا منذ مدة طويلة .

قال لها بجزم : « لا يتعلّق الأمر بطول المدة أو قَصرها . أغرمت بك منذ اللحظة التي فتحتُ فيها باب السيارة وسط العاصفة الثلجية ورأيتك » .

ربّما خالجها الشعور ذاته على الرغم من أن سكوت ظنه دبًا .

هز جيد رأسه : « ومن حينها وأنا أقاوم تلك العاطفة و . . . » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بدا الذهول مسيطراً عليه على أثر ذلك الاعتراف الذي نزل عليه كالصاعقة :

«ميغ ، هل قلت لتوك إنك تحبينني ؟ »

.

أبتسمت برقة : « نعم » .

ثم قالت له ثانية وهي تشعر بحلاوة تلك الكلمات التى تعبر عنها بحرية : « أنا أحبك يا جيد » .

ثم رددت بقوة وعزم : « أحبك ، أودك ، أحتاج إليك » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

واعترفت له بصوت مرتجف : « شعرت بحزن عارم لأنك سترحل في الصباح ولِن أراكَ مرة أخرى » .

– وقد شعرت بالغضب لأنك تريدين التخلص مني بسرعة .

رفعت تظرها إليه وراحت تحملق فيه بعينين خضراوين صافيتين : « إنها الكبرياء . لكن لن يحدث بيننا أي سوء تفاهم بعد الآن يا جيد » .

عانقها وضمها بقوة إلى صدره : « هل تتزوجينني يا ميغ ؟ هل تتزوجينني أنت وسكوت ؟ » .

لم تستطع أن تتمالك نفسها إذ أيقنت أنه يعرض عليها أن تطأ الجنة بقدميها :

« أجل ، بالطبع يا جيد » .

– إذًا ، أعتقد أننا تبادلنا هدية عيد الميلاد .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم يكن لدى ميغ أدنى شك في أنه نصفها الآخر. إنه حبّها ، وتوام روحها ، وهو من تريد أن تمضي معه باقي أيام حياتها .

رفع جيد سماعة الهاتف وهو يضم ميغ إلى صدره باليد الأخرى .

بدت رقيقة جدًا وفائقة الجمال ؟ تشع دفاً وحناناً . وعندما ردت والدته بصوت قوي قال : « مرحبا يا ماما . أتصل بك لأتمنى لك ميلاداً مجيداً

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ولأعلمك أني سأحضر خطيبتي لتتعرف إليك بعد يومين » .

أخذت والدته تصرخ ابتهاجًا ، فأبعد جيد السماعة عن أذنه .

ميغ خطيبته وقريباً جداً ستصبح زوجته . لن يحصل ذلك بالسرعة التي يريدها ، فهو يريد ميغ وسكوت معه حتى آخر العمر . وهو يعلم علم اليقين أن هذا ما يودانه كلاهما : يبقوا معاً إلى الأبد .

وما أن أنهى جيد الاتصال بعائلتة حتى استدار قائلاً لميغ : « لدي شرط واحد لنعقد هذا الزواج » .

نظرت إليه والحب يقطر من عينيها بعد أن رحبت عائلتها بحرارة بقرارهما : « لم تمض على خطوبتنا سوى ساعة واحدة وأنت تضع شروطًا ؟ » .

أومأ برأسه دون أن يُبدي أسفه : « سوف نحتفل بعد الميلاد القادم مع عائلتي . لا أبالي إن كان علينا أن ننقل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عائلتك كلّها معًا ، لكننا سنحتفل السنة المُقبلة فى المزرعة » .

– سوف يعشق سكوت مزرعة أهلك .

رد جيد بابتسامة عريضة : « لا حاجة لنا هناك إلى خدمة الموائد » .

وصمت قبل أن يضيف : « وقد لا نحتاج حتى لحضور حفل العشاء » .

ضحكت ميغ وأجابته : « لا يهمني أين سنكون ما دمنا معًا » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هكذا وبعد أعوام من الوحدة ، وجد نفسه يرغب في أن يمضي نهاره وليلة برفقة هذه المرأة ليسكب عليها حبه ولتغمره بحبها .

وهى أجمل هدية تُقدم في هذا العيد .

لمزيد من الروايات الحصرية و المميزة

زوروا موقع مكتبة رواية

www.riwaya.ga

تمت